ثلاث شخصيات طريفة في الإسلام



عبد المعين الملوحي

- ابن أبي عتيق
- ابو السائب المخزومي
- عبدالله بن جعفر الطيار

دار الملوحي للنشر والتوزيع
ص.ب : ٣١٣٩٩ - دمشق
الجمهورية العربية السورية

ثلاث شخصيات طريفة في الإسلام
عبد المعين الملوحي
دار الملوحي ١٩٩٦

ثلاث شخصيات طريفة

في الاسلام

ثلاث شخصيات طريفة

في الاسلام

١- ابن أبي عتيق

٢- أبو السائب المخزومي

٣-عبد الله بن جعفر الطيار

عبد المعين الملوحي

ثلاث شخصيات طريفة في الإسلام

الطبعة الأولى ١٩٩٦

الغلاف من تصميم الفنان فراس المقيد

دار الملوحي – دمشق

الإهداء

إلى كل من يعمل لآخرته كأنه يموت غدا

ومن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا

أهدي هذه النماذج الثلاثة لهؤلاء العاملين

دمشق ٢٠/٧/ ١٩٩٦

عبد المعين

المقدمة

خلال مطالعاتي للتاريخ العربي على العموم ولتاريخ الأدب العربي على الخصوص، أثارت انتباهي حياة عدد من الشخصيات الطريفة التي جمعت بين الدين والدنيا في سلوكها، ومن هذه الشخصيات:

١ ـ مسكين الدارمي الذي ناصر المرأة ودافع عن حقوقها دفاعاً يخيل إليك فيه بأنه من العصر الحديث، وقد سجلت موقفه كاملاً في كتابي "مواقف إنسانية في الشعر العربي" ، ولذا لم أر ضرورة لإعادة نشره في هذا الكتاب .

٢ ـ ابن أبي عتيق حفيد الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه .

٣ ـ أبو السائب المخزومي الذي اشتهر بتقواه وحبه للحياة في آن واحد.

٤ ـ عبدالله بن جعفر الطيار الذي عاش نصيراً مخلصاً لعمه

الإمام علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ ثم عاش حياة شخصية حافلة بالمتعة بعد وفاة عمه الإمام ومقتل ابن عمه الحسين بن علي شهيد كربلاء.

وقد جمعت أخبار هذه الشخصيات الأخيرة الثلاث في هذا الكتاب ليكون مرجعاً لكل من يريد أن يعمل لآخرته ودنياه في آن واحد.

دمشق ٢٠/٧/ ١٩٩٦

عبد المعين

ابن أبي عتيق

تمهيد

في بحثي عن أبي السائب المخزومي ذكرت أن الحجاز في العصر الاموي عرف شخصيات طريفة جمعت بين الدين والعبادة وبين المتعة الحلال واللهو البريء. وتذوقت الشعر وهزها الغناء فلم تكن متزمتة قاسية و لم تكن عابثة لاهية:

ومن أشهر هؤلاء الشخصيات أبو السائب المخزومي وابن أبي عتيق .

وقد انتهى بحث أبي السائب المخزومي، وبقي علينا أن تنكلم عن ابن أبي عتيق.

وابن أبي عتيق مثل أبي السائب في تذوقه للشعر وهزته عند الغناء وشفاعته للعشاق.

وقد رأيت أن أستهل البحث عنه برأي الحصري في كتابه جمع الجواهر في الملح والنوادر. قال الحصري:

قال مالك بن أنس: ما رأيت أشبه بأهل المدينة من ابن سيرين، وأهل المدينة أرق أدباً، وأحلاهم طرباً وأبرعهم شيماً وأطيبهم كرماً، ويقال: دل حجازي وفسق يماني......

وكان عبد الملك بن الماجشون يقول: لقد كنا بالمدينة، وإن الرجل يحدثني بالحديث من الفقه فيمله علي، ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل ويقول: لا أعطيك ملحي وأهبك ظرفي وأدبي، وقال ابن الماجشون: إني لأسمع الكلمة المليحة، ومالي الا قميص واحد فأدفعه إلى صاحبها وأستكسي ا لله عز وجل.

جمع الجواهر في الملح والنوادر: ٣٦

ويعلق الدكتور طه حسين على ابن أبي عتيق والعرجي وعبد ا لله بن جعفر وسماعهم للغناء واختلافهم إلى مجالس المغنيات فيقول[1]:

---

[1] ـ حديث الاربعاء ١ : ٣٠٦

(ولعلك تعلم أن هذا الماجن الذي ازدان به الحجاز حيناً وهو ابن أبي عتيق كان من سلالة أبي بكر، وأن العرجي الذي أريد أن أحدثك عنه اليوم كان من سلالة عثمان، ولعلك تعلم مكانة عبد الله بن جعفر. وهذا الجلال الديني الذي كان يحيط به وأنه لم يكن يكره لأأن يسمع الغناء ولا أن يختلف إلى مجالس المغنيات.....) وهاتان حادثتان رويتا عن فقيهين عابدين كبيرين من فقهاء الاسلام لم يردا على من خالفهما رداً جافياً غليظاً ولكنهما ردا في رقة ولطف. ربما كانا أجدى في نصح الناس من الغلظة والجفوة.

وردت الاولى في الاغاني[2]:-

قال عبد الله بن عمر العمري:

خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه، فأدنيت ناقتي منها ثم قلت لها: يا أمة الله، ألست حاجة؟ أما تخافين الله فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ثم قالت: تأمل يا عمي، فإني ممن عنى العرجي بقوله:

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال: فقلت لها: أسأل الله الا يعذب هذا الوجه بالنار قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: أغربي، قبحك الله ولكنه ظرف عباد الحجاز.

ورويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار: على نحو ما رويت عن سعيد بن المسيب[3] :

بينما أبو حازم يرمي الجمار إذ هو بامرأة متشعبذة ـ يعني حاسرة ــ فقال لها: أيتها المرأة استتري، فقالت: إني والله من اللواتي قال فيهن الشاعر قوله :

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن البريء المغفلا
وترمي بعينيها القلوب ولا ترى ... لها رمية لم تصم منهن مقتلا

فقال أبو حازم لأصحابه: ادعوا الله لهذه الصورة الحسنة الا يعذبها بالنار.

---

[2]- الاغاني : ١٩ : ٢١٧ـ ٢١٨

[3] ـ الاغاني : ١٩ : ٢١٧ ـ ٢١٨

ووردت قصة أبي حازم في زهر الاداب[٤] على هذا النحو:

خرج أبو حازم يوماً يرمي الجمار، فإذا هو بامرأة حاسر(سافر) فقال لها: يا هذه، إنك بمشعر حرام، وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم، فاتقي الله واستتري، فإن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز(وليضربن بخمرهن على جيوبهن) فقالت: إني من اللواتي قيل فيهن:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها	وأرخت على المتنين برداً مهلهلا
من اللاتي لم يحججن يغين حسبة	ولكن ليقتلن البريء المغفلا

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة الا يعذبها الله تعالى بالنار. فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون. وعلق الشعبي على الحارث تعليقاً لاذعاً فقال - كما ورد في زهر الاداب: فبلغ ذلك الشعبي، فقال: ما أرقكم يا أهل الحجاز وأظرفكم. أما والله لو كان من قرى العراق لقال: اعزبي[٥] عليك لعنة الله.

وعلق الحصري فقال: وأهل المدينة أكثر ظرفاً، وأكثرهم طبعاً، وأحلاهم مزاجاً، وأشدهم اهتزازاً للسماع وحسن أدب عند الاستماع.

نسب ابن أبي عتيق

هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم - وكان أجل أهل زمانه.

جمع الجواهر: ٤٥

أما لماذا سمي آل أبي عتيق بهذا الاسم فقد ورد ذلك في وفيات الاعيان قال ابن خلكان:

وأما محمد بن عبد الرحمن بن محمد وله عقب، يقال لهم آل أبي عتيق من بين

---

[٤] - زهر الاداب : ١ : ٢١١

[٥] - أغربي : اذهبي وابتعدي

ولد أبي بكر. وذلك أن عدة من ولد بكر تفاضلوا فقال أحدهم:

ـ أنا ابن الصديق، وقال الاخر: ـ أنا ابن ثاني اثنين، وقال آخر: أنا ابن صاحب الغار وقال محمد بن عبد الرحمن ـ أنا ابن عتيق، فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم.

وفيات الاعيان :٣: ٧

وتتحدث المصادر عن أبيه محمد بن عبد الرحمن فتقول أنه أعرق الناس في صحبة النبي(صلى ا لله عليه وسلم) جاء في الوافي في الوفيات للصفدي ابن أبي عتيق: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة، هو أعرق الناس في صحبة النبي(صلى ا لله عليه وسلم) لأنه هو وأبوه وجده وجد أبيه، كل منهم رأى النبي(صلى ا لله عليه وسلم) وهو والد عبد ا لله بن أبي عتيق، صاحب النوادر المشهورة[٦]

آراء في ابن أبي عتيق

وهذه بعض آراء الاقدمين فيه

قال صاحب العقد الفريد[٧]

كان ابن أبي عتيق من نبلاء قريش وظرفائهم وجاء في جمع الجواهر[٨] : ولابن عتيق عجائب ظريفة، أذكر منها ما يصلح ويملح.......

أخبار ابن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة

كانت علاقة ابن أبي عتيق بعمر بن أبي ربيعة علاقة وثيقة فهو ينقد شعره نقداً لاذعاً حيناً وهو يشفع له عند الثريا، وهو يهتز لشعره حيناً ومن أعجب نقده له هذا الخبر الذي ورد في الاغاني وفي الموشح ويدل على إدراكه لنفسية عمر بن أبي

---

[٦] ـ الوافي بالوفيات : ٢٢٠ ـ ٢٢١

[٧] ـ العقد الفريد : ٧ : ٤٥ ـ ٤٦

[٨] ـ جمع الجواهر : ٤٢

ربيعة في بعض شعره:

قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله[٩]:

بينمـــا ينعتنــــني أبصرنــــني	دون قيـد الميـل يعـدو بـي الاغـر
قـالت الكـبرى: أتعرفـن الفتـى؟	قـالت الوسـطى: نعـم هـذا عمـر
قـالت الصغـرى وقـد تيمتهـا:	قـد عرفنـاه وهـل يخفـى القمـر؟

فقال له ابن أبي عتيق وقد أنشدها:

أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك، كان ينبغي أن تقول: قلت لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه.

وابن أبي عتيق يطالب عمر بالصدق في شعره وفي إعانته في البكاء إن كان صادقاً في وعده بالمعونة.

جاء في الاغاني[١٠]

حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله:

ومـن كـان محزونـاً بـإهراق عـبرة	وهـي غربهـا فليأتنـا نبكـه غـدا[*]
نعنـه علـى الإثكـال إن كـان ثـاكلا	وإن كـان محروبـا وإن كـان مقصـدا[**]

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخريت، وقال له: قم بنا إلى عمر. فمضيا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئناك لوعدك. قال: وأي موعد بيننا؟ قال: قولك فليأتنا نبكه غداً. قد جئناك وا لله لا تبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك. أو ننصرف على أنك غير صادق ثم مضى وتركه. قال ابن عائشة: خالد الخريت هو خالد بن عبد ا لله القسري.

---

(٩) ـ الاغاني : ١ : ١١٨ ـ ١١٩ ؛ والموشح : ٣٢٠

(١٠) ـ الاغاني : ١ : ١٥٢

(*) ـ وهى غربها: ضعف دمعها. نبكه : نجعله يبكي

(**) ـ الثاكل : الذي فقد ولده؛ المحروب : المسلوب ، المقصد: من طعن بسيف أو رمى بسهم.

ويسمع ابن أبي عتيق قول عمر:

مـــن رســـولي إلى الثريـــا فـــإنني ضقــت ذرعـاً بهجرهـا والكتــاب؟

فيرى أن عمر يستغيث به، وأنه وحده هو رسوله إلى الثريا فيبادر إلى إغاثته وإلى الاصلاح بينهما: ولا يرى حرجاً في الجمع بين قلبين وحبيبين.

جاء في الاغاني: ١:٢٢٢-٢٢٣ وفي جمع الجواهر :٤٣ قال بلال مولى ابن أبي عتيق:

أنشد ابن أبي عتيق قول عمر بن أبي ربيعة :

مـــن رســـولي إلى الثريـــا فـــإنني ضقــت ذرعـاً بهجرهـا والكتــاب؟

فقال ابن أبي عتيق: إيـاي أراد، وبـي نـوه لا جرم وا لله لا أذوق أكـلاً حتـى أشخص فأصلح بينهما، ونهض ونهضت معه، فجاء إلى قوم من بني الديل بن بكـر لم تكن تفارقهم نجائب فره[١١] يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهـم، فقلت له: استوضعهم أو دعني أماكسهم، فقد اشتطوا عليك فقال: ويحك أمـا علمـت أن المكاس[١٢] ليس من أخلاق الكرام، ثم ركب إحداهما وركبت الاخرى فسار سيراً شديداً، فقلت: أبق على نفسك فإن ما تريد ليس يفوتك فقال: ويحك أبـادر حبـل الود أن يتصرما[١٣]

وما حلاوة الدنيا إذا تم الصدع بين عمر والثريا؟

فقدمنا مكة ليلاً غير محرمين، فدق على عمر بابه، فخرج إليه وسلم عليـه، و لم ينزل عن راحلته، فقال له: اركـب أصلـح بينـك وبـي الثريـا، فأنـا رسـولك الـذي سألت عنه. فركب معنا وقدمنا الطائف، وقد كـان عمـر أرضـى أم نوفـل فكـانت تطلب الحيل لإصلاحها فلا يمكنها، فقال ابن أبي عتيق للثريا: هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك. فدعيني من التعداد والترداد، فإنه من الشعراء الذيـن يقولـون

---

(١١) ـ فره: نشيطة قوية

(١٢) ـ المكاس: المساومة

(١٣) ـ تصرم : انقطع

ما لا يفعلون، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله وكررنا إلى مكة، فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل.

وحادثة أخرى أكثر طرافة تدل على حرص ابن أبي عتيق على الجمع بين المتحابين، فقد طلق قيس بن ذريح زوجته لبنى وندم وسمع ابن أبي عتيق شكواه فسعى سعياً حثيثاً للجمع بينهما حتى بعد زواج لبنى.

ابن أبي عتيق يطلق لبنى من زوجها ويعيدها إلى قيس بن ذريح.

وهذه رواية أخرى عن حياة قيس بن ذريح ولبنى وردت في الاغاني ٩:٢١٩:

ذكر القحذمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر(رضي الله عنهم) وجماعة من قريش، فقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها، وإني لأستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه. فقالوا: ذلك لك مبتذل منا. فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبنى، فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره، فقالوا:

جئناك أجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق، قال: هي مقضية كائنة ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال: نعم. قال: تهب لهم ولي لبنى زوجتك وتطلقها. قال: فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها، وقال ابن عائشة: فعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه، فلم تزل عنده حتى انقضت عدتها فسأل القوم أباها فزوجها قيساً فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمن أفضل ما يجازي … على الاحسان خيراً من صديق
فقد جربت إخواني جميعا … فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع … ورأي حدت فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي … أغصتني حرارتها بريقي

قال: فقال له ابن أبي عتيق:

يا حبيبي أمسك عن هذا المديح، فما يسمعه أحد الا ظنني قواداً.

وابن أبي عتيق يصل في حبه لعمر وإعجابه بشعره حداً قل أن يصل إليه أحـد، فهو يتمنى أن يموت إذا مات عمر، ويرد على من يريد الغض من شعر عمر:

أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله[١٤]:

لم تـر العـين للثريـا شـبيهاً بمسـيل التـلاع يـوم التقينـا

فلما بلغ إلى قوله:

ثـم قـالت لأختهـا قـد ظلمنـا إن رددنـاه خائبـاً واعتدينـا

قال: أحسنت والهدايا وأجادت، ثم أنشد ابن أبي عتيق متمثلاً:

أريـني جـواداً مـات هـزلاً لعلـني أرى مـا تريـن أو بخيـلاً مخلـدا.

فلما بلغ عمر إلى قوله في الشعر:

في خلاء من الانيس وأمن

قال ابن أبي عتيق: أمكنت للشارب الغَدُر "من عال بعدها فلا انجبر"

فلما بلغ إلى قوله:

فمكثنـا كـذاك عشـراً تباعـاً وقضينـا ديوننـا واقتضينـا

قال: أما وا لله ما اقتضيتها ذهباً ولا فضة ولا اقتضتك إياه، فـلا عرفكمـا ا لله قبيحاً.

فلما بلغ إلى قوله:

كـان ذا في مسـيرنا إذ حججنـا علـم ا لله فيـه مـا قـد نوينـا

قال: إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه. فـأرود[١٥] التفسير ولئـن مـت لأموتـن معك. أف للدنيا بعدك يا أبا الخطاب! فقال له عمر: بل عليها العفاء بعـدك يـا أبـا محمد! قال فلقي الحارث بن خالد ابن أبي عتيق فقال: قد بلغني ما دار بينـك وبـين أبي ربيعة، فكيف لم تتحللا مني؟ فقال له ابـن أبـي عتيـق: سيغفر ا لله لـك يـا أبـا عمر، إن ابن أبي ربيعة يبرىء القـرح، ويضـع الهنـاء مواضـع النقـب، وأنـت جميـل

---

[١٤] ـ الاغاني: ١ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩

[١٥] ـ أرود: دع التفسير الان

الخفض فضحك الحارث بن خالد وقال: حبك الشيء يعمي ويصم. فقال: هيهات أنا بالحسن عالم نظار.

الاغاني ١: ٢٢٨-٢٢٩.

وإذا أسرف ابن أبي ربيعة في بعض شعره وتمنى أن يكون الحج والعمرة في مكة كل يومين وانتقده بعض أهل الورع بادر ابن أبي عتيق للدفاع عنه وعزا إسرافه إلى أنه محب وأن في نفسه ما ليس في نفس منتقده:

وابن أبي عتيق إذا لم يعجبه الشعر أو مضمونه يجاهر برأيه وإن أدى ذلك إلى غضب الشاعر وقطع صلته به.

جاء في مختار الاغاني[١٦]

لقي ابن أبي عتيق عروة بن أذينة فأنشده شيئاً من شعره حتى أنشده:

سرى همي وهم المرء يسري	**وغار النجم الا قيس فتر**
أراقب في المجرة كل نجم	**تعرض للمجرة كيف يجري**
لهمّ ما أزال له مديما	**كأن القلب أضرم حر جمر**
على بكر أخي ولى حميدا	**وأي العيش يصفو بعد بكر؟**

فقال ابن أبي عتيق: كل العيش يصلح، والله، بعده حتى الخبز والزيت، فغضب عروة من قوله، فقام من مجلسه، وحلف لا يكلمه أبداً، وماتا متهاجرين، وأحسب أن ابن أبي عتيق كان ظالماً في حكمه على شعر عروة بن أذينة، فالشاعر هو المفجوع وليس السامع، وشعور المفجوع بفجيعته غير شعور السامع، أوليس ابن أبي عتيق نفسه هو القائل: في نفس الجمل شيء غير ما في نفس سائقه.

ابن أبي عتيق يدافع عن عمر

أنشد ابن أبي عتيق سعيد بن المسيب قول عمر بن أبي ربيعة[١٧]:

---

(١٦) ـ مختار الاغاني: ٨ : ٨٧

(١٧) ـ مصارع العشاق للسراج ٢ : ١٦٠

أيهـا الركـب المجـد ابتكـارا قـد قضـى مـن تهامـة الأوطـارا
إن يكـن قلبـك الغـداة خليـا ففـؤادي بـالخيف أمسـى معـارا
ليـت ذا الدهـر كـان حتمـا علينـا كـل يومـين حجـة واعتمـارا

فقال: لقد كلفت المسلمين شططاً فقال:

يا أبا محمد، في نفس الجمل شيء غير ما في نفس سائقه.

ابن أبي عتيق يستوضح عمر

ومع ذلك فلم يكن ابن أبي عتيق يرفق بعمر إذا رأى في شعره ما لا يتضح:

سمع قول عمر :

فمـا نلـت منهـا محرمـاً غـير أننـا كلانـا مـن الثـوب المطـرف لابـس

فركب من المدينة إلى مكة ـ و لم يعرج على الحرم ـ يسأله عنه

جاء في جمع الجواهر[18] :

ولابن أبي عتيق عجائب ظريفة أذكر منها ما يصلح وما يملح، منهـا أنـه سمـع، وهو بالمدينة، قول ابن أبي ربيعة :

فمـا نلـت منهـا محرمـاً غـير أننـا كلانـا مـن الثـوب المطـرف لابـس

فقال :

أبنا يلعب ابن أبي ربيعة؟ فأي محرم بقي؟

فركب بغلته متوجهاً إلى مكة ودخل أنصاب الحرم، وقيل له: أحـرم، قـال: إن ذا الحاجة لا يحرم. فلقي ابن أبي ربيعة فقال: أما زعمت أنك لم ترتكب محرماً قط؟ قال: بلى، قال: فما قولك كلانا من الثوب ـ البيت؟ فقال :

---

[18] ـ جمع الجواهر : ٤٢

إني أخبرك، خرجنا بعلة المسجد فصرنا إلى بعض الشعاب، فأخذتنا السماء فأمطرت فسترنا الغلمان بمطرفي لئلا يروا بها بلة فيقولوا لها: هلا استترت بسقائف المسجد؟ فقال ابن أبي عتيق: يا عاهر، هذا البيت يحتاج إلى حاضنة.

ومع كل ما قدم ابن أبي عتيق لعمر من خدمات في عشقه ومن دفاع وإعجاب بشعره، فعمر جعل ابن أبي عتيق شيطاناً هو الذي يزين له الذنوب .

جاء في زهر الاداب ١:٢٩٣:

وصف ابن أبي عتيق لعمر امرأة من قومه، وذكر جمالا رائعاً، وعقلاً فائقاً، فرآها عمر فشبب بها، فغضب ابن أبي عتيق، وقال: تشبب بامرأة من قومي؟ فقال عمر:

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني

لا تلمني فأنت زينتها لي

فقال ابن أبي عتيق :

أنت مثل الشيطان للإنسان

فقال عمر: هكذا ورب الكعبة قلت.

فقال ابن أبي عتيق: إن شيطانك، ورب القبر، ربما ألم بي.

أبو السائب وابن أبي عتيق يتباريان في إرضاء الشيطان

من أطرف الحوادث التي جرت بين ابن أبي عتيق وبين أبي السائب المخزومي أنهما يتباريان في إرضاء الشيطان لأنه أوحى إلى الشاعر كثير بيتاً له فوهبا للشيطان كساءيهما حتى لا يسبق أحدهما صاحبه في بر الشيطان.

قال العقد الفريد:

خرج أبو السائب وابن أبي عتيق يوماً يتنزهان في بعض نواحي مكة، فمال أبو السائب ليبول، وعليه طويلته، فانصرف دونها، فقال له ابن أبي عتيق: ما فعلت طويلتك؟ قال: ذكرت قول كثير:

أرى الإزار على لبنى فأحسده إن الإزار على ما ضم محسود

فتصدقت بها على الشيطان الذي أجرى هذا البيت على لسانه، فأخذ ابن أبي عتيق طويلته فرمى بها وقال:

أتسبقني أنت في بر الشيطان؟!

ابن أبي عتيق ونقد الشعر

وابن أبي عتيق نقادة عارف باالشعر وهوالذي يقول عن نفسه: أنا بالحسن عالم نظار. ولا شك أن نقده للشعر يعتمد في الدرجة الاولى على ذوقه الادبي وعلى معرفته بأحوال الشعراء والعشاق.

وقد مر بنا خبر نقده لعمر نقداً لاذعاً حين قال له: إنك لم تنسب بها(الحبيبة) وإنما نسبت بنفسك وفي نقده لقصيدة عمر النونية وفي إنكاره لغموض شعره أحياناً وهذه نماذج من نقده لشعر كثير، من مقارنته بين شعر الحارث وشعر بن أبي ربيعة ووصفه لهذا الشعر وصفاً دقيقاً ثم رأيه في الشعر الجيد، وهو خلال ذلك يستشهد بشعر الحارث ويبرز سقطاته.

ورد في العقد الفريد ٦:١٨٤-١٨٥- و٧:١٨-١٩- وفي الموشح: ٢٣٨-٢٣٩:

قال السائب راوية كثير عزة: قال لي كثير عزة يوماً:

أ - قم بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدث عنده. قال: فجئناه فوجدنا عنده ابن معاذ المغني، فلما رأى كثيراً قال لابن أبي عتيق:

الا أغنيك شعر كثير عزة؟ قال: نعم. فغناه:

أبائنة سعدى؟ نعم ستبين ... كما أنبتّ من حبل القرين قرين
أأن ذمّ أجمال وفارق جيرة ... وصاح غراب البين أنت حزين؟
كأنك لم تسمع ولم تر قبلها ... تفرق الاف لهن حنين
فأخلفن ميعادي وخن أماني ... وليس لمن خان الأمانة دين

فالتفت ابن أبي عتيق إلى كثير وقال: وللدين صحبتهن يا ابن أبي جمعة؟! ذلك وا الله أشبه بهن وأدعى للقلوب إليهن. وإنما يوصفن بالامتناع وليس الوفاء والامانة.

ذو الرقيات أشعر منك حيث يقول:

حبــــذا الإدلال والغنـــــج — والــــتي في طرفهــــا دعــــج
والــــتي إن حدثــت كذبــت — والــــتي في ثغرهــــا فلــــج
وتــــرى في البيــت صورتهــا — مثــل مــا في البيعــة الســرج
خــبروني هــل علــى رجــل — عاشــق في قبلــه حــرج؟

فقال كثير: قم بنا من عند هذا. ثم نهض. أما الموشح:٢٣٨ـ٢٣٩ فيجعل للقصة نهاية أخرى فيقول: قال: فسكن كثير، وقال: لا إن شاء الله تعالى! قال: فضحك ابن أبي عتيق حتى كاد يغشى عليه.

الموشح: ٢٣٧

ب ـ أنشد كثير عزة ابن أبي عتيق:

ولست بـراض مـن خليـل بنـائل — قليــل ولا راض لــه بقليــل

فقال ابن أبي عتيق: هذا كلام مكافىء، وليس بعاشق، القرشيان أصدق منك وأقنع، ابن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات قال عمر:

فعــدي نــائلاً وإن لم تنيلــي — إنمــا ينفــع المحــب الرجــاء

وقال عمر:

ليـت حظـي كطرفـة العـين منهـا — وكثــير منهــا القليــل المهنــا

وقال ابن قيس:

رقــيَّ بعمركــم لا تهجرينــا — ومنينــا المنــى ثــم امطلينــا
عدينــا في غــد مــا شــئت إنــا — نحــب ولــو مطلــت الواعدينــا
فإمــا تنجــزي عدتــي وإمــا — نعيــش بمــا نؤمــل منــك حينــا

الموشح: ٢٣٧ـ٢٣٨ والاغاني ٨:١٠٨ـ١٠٩

جـ - ذكر شعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي عند ابن أبي عتيق - وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وفي المجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة فقال: بعض قولك يا ابن أخي. فلشعر عمر لوطة في القلب، وعلق بالنفس، ودرك للحاجة ما ليس لشعر غيره، وما عصي الله بشعر كما عصي بشعر عمر، وخذ عني ما أصف لك: أشعر قريش من دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه وأعرب عن صاحبه. فقال الخالدي: صاحبنا الذي يقول:

إنـي ومـا نحـروا غـداة منـى ... عنـد الجمـار تؤودها العقـل
لـو بدلـت أعلـى منازلهـا ... سـفلا وأصبـح سـفلها يعلـو
فيكـاد يعرفهـا الخبـير بهـا ... فـيرده الإقـواء والمحـل[*]
لعرفـت مغناهـا بمـا احتملـت ... مـني الضلـوع لأهلهـا قبـل

فقال له ابن أبي عتيق: يا ابن أخي! استر على صاحبك، ولا تشاهد المحاضر[19] بمثل هذا. أما تطير الحارث حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله..... ما بقي الا أن يسأل الله لها حجارة من سجيل[20] ، ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبة من صاحبك وأجمل مخاطبة حين يقول:

سـائلا الربـع بـالبلي وقـولا ... هجـت شـوقاً لي الغـداة طويـلا
أيـن حـي حلـوك إذ أنـت محفـو ... ف بهـم آهـل أراك جميـلا
قـال سـاروا فـأمعنوا واسـتقلوا ... وبكرهـي لـو أسـتطيع سـبيلا
سـئمونا ومـا سـئمنا مقامـا ... واسـتحبوا دماثـة وسـهولا

وأضاف الاغاني: فانصرف الرجل خجلاً مذعناً.

(*) - الاقواء : خلو الدار

(19) - المحاضر : المحافل

(20) - السجيل : الطين المتحجر

د ـ وله في النقد طرائف، فقد كـان يسـمع الشـعر ويـرى قائلـه فيحكـم عليـه بلونه.

فقد كان الشاعر نُصيب أسـود فشبهه ابـن أبـي عتيـق بـالغراب، ونصحـه أن يصيح "غاق" وهو صوت الغراب لكي يطير إلى حبيبته:

ورد في الموشح ٣٠٠ وفي الوافي بالوفيات ٣:٢٢٢ أنشد نُصيب ابن أبـي عتيـق قوله:

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا　　　سنا بارق نحو الحجاز أطير

فقال له ابن أبي عتيق:

قل: "غاق" فإنك تطير.

وجاء في مصارع العشاق للسراج زيادة في الخبر ١:٢٩٦ـ٢٩٧:

أراد ابن أبي عتيق الحج فلقـي نصيباً، فقـال: هـل توصـي إلى سعدى بشـيء فقال: نعم ببيتين. قال: ما هما؟ قال:

أتصبر عن سعدى وأنت صبور　　　وأنت بحسن الصبر منك جدير
وكدت لم أخلق من الطير إن بدا　　　سنا بارق نحو الحجاز أطير

قال: فخرج ابن أبي عتيق فوجد سعدى في مجلس فقال لها: معي إليك رسـالة. قالت: وما هي؟ هاتها يا ابن الصديق. فأنشدها البيتين، فتنفست تنفساً شديداً فقال ابن أبي عتيق: أوه أجبته وا لله بأحسن من بيتيه لو سمعها لنعق وطار.

هـ ـ رأى ابن أبي عتيق أوصاف الخليفة وأخلاق القـاضي موفـورة في وصـف قوادة في شعر عمر وأن المسلمين في حاجة إلى خليفة يسوسهم كمـا تسـوس هـذه القوادة العشاق.

ثم يسمع قول العرجي في وصف امرأة تسأل خادمتها عـن ليلـة الوتـر وتجيبهـا الخادمة، فإذا ابن أبي عتيق يراها أفقه من ابن شـهاب ويعتقهـا لوجـه ا لله إذا أجـاز أصحابها عتقها، الوافي ٣:٢٢١

ومن نوادره(ابن أبي عتيـق) المشـهورة أنـه لمـا سمـع قـول عمـر بـن أبـي ربيعـة المخزومي:

فأتــــتها طبـــــة عـالـمـــــة ... تمــزج الجـــد مـــراراً بـــاللعب
تغلــظ القـــول إذا لانـــت لهـــا ... وتراخــيٰ عنــد ســورات الغضــب

قال لعمر: ما أحوج المسلمين إلى خليفة يسوسهم مثل هذه!

جمع الجواهر :٤٣-٤٤

سمع ابن أبي عتيق قول العرجي:

ومــا ليلــة عنــدي وإن قيــل ليلـــة ... ولا ليلــة الاضحــى ولا ليلــة الفطــر
معادلـــة الاثنـــين عنـــدي وبـــاطلا ... يكــون ســواء مثلهــا ليلــة القــدر
ومــا أنــس م الاشــياء لا أنــس قولهـا ... لخادمها: قومــي ســلي لي عــن الوتــر
فجـاءت تقـول: النـاس في تسـع عشـرة ... ولا تعجلـــي عنـــه فـــإنك في أجـــر

فقال: هذه أفقه من ابن شهاب. وهي حـرة لله عـز وجـل مـن مـالي إن أجـاز أهلها ذلك.

الغناء وابن أبي عتيق

كان الغناء منتشراً جداً في المدينة وظهر فيها عدد كبير مـن المغنـين والمغنيـات، وكان ابن أبي عتيق يحب الغناء وينتشي له، بل إنه أنقذ المغنين من نفيهم من المدينـة حين أمر واليها بإبعادهم عنها، واستطاع أن يبقيهم فيها ليستمتع بغنائهم.

ورد في الاغاني :٨:٣٤١-٣٤٢

وفي العقد الفريد: ٧:٤٥-٤٦ وفي جمع الجواهر ٤٥

كان ابن أبي عتيق من نبلاء قريش وظرفائهم

فمن ظريف أخباره :

أن عثمان بن حيان المري، لما دخل المدينة والياً عليها، اجتمع إليه الأشراف من قريش والانصار، فقالوا له :

- إنك لا تعمل أحرى من تحريم الغناء والرثاء.

ففعل، وأجَّل المغنين ثلاثاً.

فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة وكان غائباً، فحط رحاله بباب سلامة الزرقاء، وقال: قد بدأت بك قبل أن أصير إلى منزلي. قالت: أو ما تدري ما حدث بعدك؟ وأخبرته الخبر. فقال: أقيمي إلى السحر حتى ألقاه. فلقيه، وأخبره أنما أقدمه حب التسليم عليه، وقال له: إن أفضل ما عملت تحريم الغناء والرثاء فقال: إن أهلك أشاروا علي بذلك. فقال: إنهم وفقوا ووفقت، ولكني رسول امرأة إليك تقول: قد كانت هذه صناعتي، فتبت إلى الله منها، وأنا أسألك أيها الامير أن لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان: إذن أدعها. فقال: إذن لا تدعك الناس، ولكن تدعو بها فتنظر إليها، فإن كان يجوز تركها تركتها، قال: فادع بها. فأمرها ابن أبي عتيق فتنقبت وأخذت سبحة في يدها، وصارت إليه فحدثته عن مآثر آبائه ففكه بها، فقال ابن أبي عتيق: أريد أن أسمع الامير قراءتها ففعلت،فقال لها: إحدي، فحركه حداؤها. ثم قال له ابن أبي عتيق :

ـ فكيف لو سمعتها في صناعتها التي تركتها فقال له: قل لها فلتغن. فغنت:

سددن خصاص البيت لما دخلته بكل بنان واضح وجبين

فنزل عثمان عن سريره ثم جلس بين يديها، وقال: لا والله ما مثلك يخرج من المدينة. فقال ابن أبي عتيق: يقول الناس! أذن لسلامة ومنع غيرها، فقال له: قد أذنت لهم جميعاً.

وعندما خصى عثمان بن حيان المري، والي مكة، المخنثين بعد أن طلب منه سليمان بن عبد الملك فقال له: احص المخنثين، فوقعت نقطة فوق الحاء، فإذا هي اخص المخنثين فخصاهم، وكان منهم الدلال فاسترجع ابن أبي عتيق، ثم أبدى رأيه في حسن غنائه، ودخل في الصلاة، ثم قطع صلاته وأتم رأيه في غناء الدلال فدل على معرفته بالاصوات.

كتب سليمان بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان المري: احص المخنثين، فوقعت فوق الحاء نقطة، فأخذهم وخصاهم وفيهم الدلال، فبلغ ذلك ابن أبي عتيق، وقد قام إلى الصلاة، فقال: أوَقد خصي الدلال، إنا لله، لقد كان يحسن أن يغني:

لمـــن طلـــل بـــذات الجيـــش أمســـــى دارســـــاً خلقـــــا

ثم دخل الصلاة فلما فرغ من قراءة أم الكتاب قال :

السلام عليكم.(وتابع رأيه في المغني وقال: وكان يحسن خفيف هذا الشعر، ولا يحسن ثقيله) جمع الجواهر:٢ ٤[٢١].

ابن أبي عتيق يسمع الغناء ولومات ثم لا يطلب ضماناً ولا دية

قال عبد الله بن جعفر لابن أبي عتيق: لـو غنتـك جـاريتي صوتـاً مـا أدركـت زكاتك[٢٢] قال ابن أبي عتيق: قل لها أن تفعل وليس عليك إن مت ضمان، فـأخذ بيده عبد الله بن جعفر وأدخله منزله، ثم أمـر الجاريـة فخرجـت وقـال لهـا: هـات فغنت:

بهـواك صـيرني العـذول نكـالا وجـد السـبيل إلى المقـال فقـالا
ونهيت نومي عـن جفونـي فـانتهى وأمـرت ليلـي أن يطـول فطـالا

قال: فرمىٰ بنفسه ابن أبي عتيق إلى الارض وقال: فإذا وجبـت جنوبهـا فكلـوا منها وأطعموا القانع والمعتر.

العقد الفريد: ١٩:٧.

حيل ابن أبي عتيق اللطيفة

كان ابن أبي عتيق يحتال في بعض الاحيان وقد مرت حيلته في إبقـاء المغنـين في المدينة وقد أمر عثمان بن حيان المري بإبعادهم عنها، وهاتان حيلتان أخريان.

ابن أبي عتيق يغـــني

في هذه الحكاية ثلاث طرائف :

١ ـ حيلة ابن أبي عتيق في أخذ جاريتين جميلتين من عبد الملك ابن مروان.

---

[٢١] ـ غاق : صوت الغراب

[٢٢] ـ زكاتك : لم تتم سنتك

٢ـ طربه للغناء.

٣ـ يغني بعد أن طرب.

العقد الفريد ٧:١٩ـ٢٠ـ٢١.

لما وصف عبد الله بن جعفر لعبد الملك بن مروان ابن أبي عتيق، وحدثه عن إقلاله وكثرة عياله أمره عبد الملك بن مروان أن يبعث به إليه، فأتاه ابن جعفر فأعلمه بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه فدخل ابن أبي عتيق على عبد الملك فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين عليه، تميسان كغصني بان، بيد كل جارية مروحة تروح بها عليه، مكتوب بالذهب في المروحة الاولى:

إنـــــني أجلــــب الريـــــا	ح وبـــــي يلعـــــب الخجـــــلْ
وحجـــــاب إذا الحبيـــــ	ــب ثنـــى الـــرأس للقبـــــل
وغيـــــاث إذا النديـــــ	م تغنـــــى أو ارتجـــــل

وفي المروحة الاخرى:

أنـــــا في الكـــــف لطيفـــــهْ	مســـــكني قصـــــر الخليفـــــهْ
أنـــــا لا أصلـــــح الا	لظريـــــف أو ظريفـــــهْ
أو وصيـــــف حســـــن الـــــ	ـقـــد شـــبيه بالوصيفـــــهْ

قال ابن أبي عتيق: فلما نظرت إلى الجاريتين هونتا علي الدنيا، وأنستاني سوء حالي، قلت: إن كانتا من الانس فما نساؤنا الا من البهائم، فكلما كررت بصري فيهما تذكرت الجنة، فإذا تذكرت امرأتي - وكنت محباً لها - تذكرت النار، قال: فبدأ عبد الملك يتوجع إلي بما حكى له ابن جعفر، ويخبرني بما لي عنده من جميل الرأي، فأكذبت كل ما حكاه له ابن جعفر عني، ووصفت له نفسي بغاية الملاءة والجدة، فامتلأ عبد الملك سروراً بما ذكرت له، رغماً بتكذيب ابن جعفر، فلما عاد إليه ابن جعفر عاتبه عبد الملك على ما حكاه عني وأخبره بما حليت به نفسي فقال: كذب والله يا أمير المؤمنين، وإنه لأحوج أهل الحجاز إلى قليل فضلك، فضلاً عن كثيره. ثم خرج عبد الله فلقيني، قال: ما حملك أن كذبتني عند أمير المؤمنين؟ قلت: أفكنت تراني تجلسني بين شمس وقمر، ثم أتفاقر عنده؟ لا والله ما رأيت

ذلك لنفسي، وإن رأيته لي.

فلما أعلم بذلك عبد الله بن جعفر عبد الملك بن مروان قال: فالجاريتان له. قال: فلما صارتا إليّ زرت عبد الله بن جعفر فوجدته قد امتلأ فرحاً، وهو يشرب، وبين يديه عس فيه عسل ممزوج بمسك وكافور، فقال: مهيم؟ قلت: قد والله قبضت الجاريتين. قال: فاشرب، فتناولت العس وجرعت منه جرعة، فقال لي: زد فأبيت عليه. فقال لجارية عنده تغنيه: إن هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين، فخذي في نعتهما، فإنهما كما فلكت صدورهما فحركت الجارية العود ثم غنت:

عهدي بها في الحي قد جردت ... صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الثدي على نحرها ... في مشرق ذي بهجة ناضر
لو أسندت ميتا إلى صدرها ... قام ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر

قال: فلما سمعت الابيات طربت، ثم تناولت العس فشربت علـلاً بعد نهل ورفعت عقيرتي أغني:

سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا ... جبال حنين ما سقوني لغنتِ

حيلة أخرى لابن أبي عتيق ينتزع فيها بغلة الحسن بن علي ليدفعها إلى مروان بن الحكم

جمع الجواهر: ٤٤

قال مروان بن الحكم له(لابن أبي عتيق) يوماً:

- إني مشغوف ببغلة الحسن بن علي.

قال: فإن دفعتها إليك أتقضي لي ثلاثين حاجة؟

ومروان يومئذ والي المدينة قال:

فإذا اجتمع الناس عندك في العشية فإني آخذ في مآثر قريش، فأمسك عن

الحسن، فلمني على ذلك.

فلما أخذوا في مجالسهم أفاض في أولية قريش، فقال له مروان:

- أما تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد؟

إنما كنا في ذكر الأشراف، ولو كنا في ذكر الأنبياء لقدمنا لأبي محمد.

فلما خرج الحسن ليركب البغلة تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم: ألك حاجة؟

قال: نعم، ذكرت البغلة، فنزل الحسن ودفعها إليه.

وحيلة أخرى لمنع فتى من التعرض لجاريته

ورد في الاغاني ١٢:١٥٦-١٥٨:

كان ابن أبي عتيق معجباً بغناء عزة الميلاء، كثير الزيارة لها، وكان يختار عليها قوله:

لمن الديار عرفتها بالشربب[٢٣]

فسألها يوم زيارته، فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه، فقال لها بعد أن استقر بها المجلس: يا عزة أحب أن تغني صوتي الذي أنا له عاشق، فغنته هذا الصوت، فطرب كل الطرب وسر غاية السرور. وكانت له جارية، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعبث بها، فأعلمت ابن أبي عتيق بذلك، فقال لها: قولي له وأنا أحبك، وإذا قال لك وكيف لي بك؟ فقولي له مولاي يخرج غداً إلى مال له فإذا خرج أدخلتك المنزل.

وجمع ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه، فأجلسهم في بيته ومعهم عزة الميلاء. وأدخلت الجارية الرجل. وقال لعزة: غني فأعادت الصوت، وخرجت الجارية فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة فقال لها: تعالي، فقالت له: الان آتيك. ثم عادت فدعاها فاعتلت فوثب فأخذها وضرب بها الحجلة، فوثب ابن أبي عتيق عليه هو وأصحابه فقال لهم وهو غير مكترث: يا فساق ما يجلسكم

---

[٢٣] - الشربب : اسم مكان

هاهنا مع هذه المغنية؟ فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له: استر علينا ستر الله عليك. فقالت له عزة: يا بن الصديق ما أظرف هذا لولا فسقه، فاستحيا الرجل فخرج.

وبلغه أن ابن أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان، فأقبل بعبث بها كلما خرجت، فشكت ذلك إلى مولاها فقال لها: أو لم يرتدع من العبث بك؟ قالت: لا. قال: فهيئي الرحى وهيئي من الطعام طحين ليلة إلى الغداء. فقالت: أفعل يا مولاي. فهيأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها: عديه الليلة فإذا جاء فقولي له: إن وظيفتي الليلة طحن هذا البر[٢٤] كله ثم اخرجي من البيت واتركيه. ففعلت فلما دخل طحنت الجارية قليلاً ثم قالت له: إن كفت الرحى فإن مولاي جاء إلي أو بعض من وكله بي، فاطحن حتى نأمن أن يجيئنا أحد، ثم اصير إلى قضاء حاجتك. ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته وقد أمر ابن أبي عتيق عدة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهن، ويتفقدن أمر الطحين، ويحثثن الفتى عليه، كلما أمسك، ففعلن، وجعلن ينادينه كلما كف: يا فلانة إن مولاك مستيقظ، والساعة يعلم أنك كففت عن الطحن. فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك يجتهد في العمل والجارية تتعهده وتقول: قد استيقظ مولاي، الساعة ينام فاصير إلى ما تحب. فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح، فلما فرغ وعلمت الجارية أتته فقالت: قد أصبحت فانج بنفسك فقال: أوقد فعلتها يا عدوة الله؟! فخرج تعباً مضنياً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وعاهد الله تعالى الا يعود إلى كلامها، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً ينكر.

ابن أبي عتيق يمازح عبد الله بن عمر ثم يكشف له عن مزاحه فيرضى عنه ويقبل ما بين عينيه:

ورد في العقد الفريد ٢:٢٦٩

قال الشيباني: كان ابن أبي عتيق صاحب هزل ولهو، واسمه عبد الله بن محمد ابن أبي بكر الصديق(رضي الله عنهم) وكانت له امرأة من أشراف قريش، وكان

---

[٢٤] ـ البر: الحنطة

لها فتيات يغنين في الاعراس والمآتم، فأمرت جارية منهن أن تغني بشعر لها قالته في زوجها فتغنت الجارية وهو يسمع :

ذهب الإله بما تعيش به	وقمرت لبك أيما قمر[*]
أنفقت مالك غير محتشم	في كل زانية وفي الخمر

فقال للجارية: لمن هذا الشعر؟ قالت: لمولاتي .

فأخذ قرطاساً فكتبه وخرج به، فإذا هو بعبد الله بن عمر بن الخطاب فقال: يا أبا عبد الرحمن، قف قليلاً أكلمك، فوقف عبد الله بن عمر قال: ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر؟ وأنشد البيتين قال: أرى أن تعفو وأن تصفح. قال: أما والله لئن لقيته لأنيكنه! فأخذ ابن عمر ينكله ويزجره، وقال قبحك الله، ثم لقيه بعد ذلك بأيام، فلما أبصره ابن عمر أعرض عنه بوجهه، فاستقبله ابن أبي عتيق فقال له: سألتك بالقبر ومن فيه الا سمعت مني حرفين، فولاه قفاه، وأنصت له قال: علمت يا أبا عبد الرحمن أني لقيت قائل ذلك الشعر ونكته. فصعق عبد الله ولبط به. فلما رأى ما نزل به دنا من أذنه وقال: أصلحك الله. إنها امرأتي. فقام ابن عمر وقبل ما بين عينيه.

ابن أبي عتيق وعائشة أم المؤمنين

كانت عائشة بنت أبي بكر الصديق عمة ابن أبي عتيق، ومع ذلك لم يعفها من مزاحه فهو :

١ ـ يغني عندها.

٢ ـ يذكرها بيوم الجمل إذا طلبت منه بغلاً.

٣ ـ يتراجع عن دعائه لها: جعلت فداك ثم يقول: لا جعلني الله فداك.

العقد الفريد ٧:١٨

ذكر رجل من أهل المدينة أن ابن أبي عتيق ـ وهو عبد الله بن محمد بن عبد

(*) ـ قمرت لبك : سلبت عقلك

الرحمن بن أبي بكر الصديق - دخل على عائشة أم المؤمنين - وهي عمته - فوضع رأسه في حجرها - أو على ركبتها - ثم رفع عقيرته يتغنى:

ومقير حجل جررت برجله	بعد الهدو له قوائم أربعُ
فأطرب زمان اللهو من زمن الصبا	وانزع إذ قالوا أبي لا ينزع
فليأتين عليك يوما مرة	يبكي عليك مقنعا لا تسمع

قالت عائشة: يا بني فاتق ذلك اليوم.

يوم البغل ويوم الجمل

الوافي بالوفيات ٣: ٢٢١

طلبت عائشة منه(من ابن أبي عتيق) بغلاً تركبه إلى قوم اختلفوا، فقال: يا أمه، إنا بعد ما رحضنا(غسلنا) عار يوم الجمل عن أنفسنا، أتريدين أن تجعلي لنا يوم البغل؟! وأنكر الجاحظ هذا الخبر إنكاراً شديداً.

يسترد عطيته

جاء في جمع الجواهر : ٤٥ والوافي بالوفيات ٣: ٢٢١

دخل ابن أبي عتيق على عائشة - وهي لما بها - قال: كيف أنت يا أماه، جعلت فداك؟ قالت: في الموت؟ قال: فلا إذن، إنما ظننت أن في الامر فسحة فضحكت وقالت: ما تدع مزحك بحال. وفي الوافي فقال: إذن لا جعلني فداك......

الحسن بن علي وابن أبي عتيق

الحسن يكتم سره فيكتشفه ابن أبي عتيق

قال الحسن لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق؟ فخرجا فعدل الحسن إلى منزل حفصة فدخل إليها متحدثاً طويلاً ثم خرج. ثم قال لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق؟ قال: نعم، فنزل لمنزل حفصة ودخل، فقال له مرة أخرى: هل لك في

العقيق[٢٥] ؟ فقال: يا ابن أم، الا تقول هل لك في حفصة؟ ويعلق الجاحظ على هذه الحادثة فيقول: وكان الحسن في ذلك العصر أفضل أهل دهره، فلو كانت محادثة النساء والنظر إليهن حراماً وعاراً لم يفعله.

رسائل الجاحظ(ص١٠١)

خاتمة

هذا ابن أبي عتيق

ـ يحب الشعر

ـ يهوى الغناء، ويغني أحياناً.

ـ ينقد الشعر نقداً يدل على فهم وذوق.

ـ يحتال حيلاً لطيفة لجلب خير أو دفع شر.

ـ صاحب نكات وطرائف.

ثم أنه مع ذلك أو لذلك كان مؤمناً تقياً غير متزمت.

---

[٢٥] ـ العقيق : منتزه أهل المدينة

أبو السائب المخزومي

تمهيد

عرف الحجاز في العصر الاموي شخصيات طريفة جمعت بين الدين والعبادة، وبين المتعة الحلال، واللهو البريء. وتذوقت الشعر، وهزها الغناء، وراقتها النكتة الطيبة، فلم تكن متزمتة قاسية، ولم تكن عابثة لاهية. ومن أشهر هذه الشخصيات أبو السائب المخزومي وابن أبي عتيق.

يبدو أن هذه الشخصيات المتدينة ـ المرحة كانت تتساهل في ثلاثة أمور:

١ ـ النظر إلى النساء دون شهوة.

٢ ـ الحديث إلى الفتيات.

٣ ـ سماع الغناء من الرجال والنساء.

قال فاديه في كتابه (الغزل عند العرب) ١:٢٣٠:

«حصل تركيز على مسألة النظر وبخاصة في مدرسة أبي السائب المخزومي، الذي اشتهرفي أدب الحب العذري... ولم تكن محاورة الفتيات الحسان تحديفاً في نظر أبي السائب المخزومي، يشهد بذلك خبر سلامة القس.» فمن هو القس وما خبره مع سلامة:

جاء في الاغاني ٨:٣٣٥:

"القس هو عبد الرحمن بن أبي عمار... وكان منزله بمكة، وكان سبب افتتانه بها (بسلامة) فيما حدثني خلاد الارقط قال: سمعت شيوخنا من أهل مكة يقولون: كان القس من أعبد أهل مكة، وكان يشبه بعطاء بن أبي رباح، وإنه سمع غناء سلامة القس على غير تعمد منه لذلك، فبلغ غناؤها منه كل مبلغ، فرآه مولاها فقال له: هل لك أن أخرجها إليك أو تدخل فتسمع؟ فأبى، فقال مولاها: أنا أقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها، فأبى، فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها

بين يديه، فتغنت فشغف بها. وشغفت به، وعرف ذلك أهل مكة. فقالت له يوماً: أنا وا لله أحبك قال: وأنا وا لله أحبك. قالت: وأحب أن أضع فمي على فمك قال: وأنا وا لله أحب ذاك قالت: فما يمنعك، فوا لله إن الموضع لخال قال: إني سمعت ا لله عز وجل يقول: ﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين﴾ وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة. ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النسك. وللقس في سلامة عدة قصائد.

والذي يبدو لنا من سلوك أبي السائب المخزومي ثم من سلوك صديقه ابن أبي عتيق أن أهل الحجاز كانوا يعتبرون:

١ - الحجاب ضرب خاصة على أزواج النبي (ص). قال الجاحظ: لم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب (الرسائل ص٩٧)

٢ - النظر إلى النساء دون فاحشة مباح.

٣ - الحديث إلى النساء ومحاورتهن حلال.

٤ - لا بأس بالغناء، والاستماع إليه والطرب به.

قال الجاحظ: (الرسائل ص٩٧): ولا كانوا (العرب) يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة اللفتة ولا لحظة الخلسة دون أن يجتمعوا على الحديث والمسامرة. وأضاف الجاحظ (الرسائل ص٩٧-٩٨) وتلك الحادثة كانت سبب الوصلة بين جميل وبثينة، وعفراء وعروة وكثير وعزة وقيس ولبنى.... ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ولم يكن النظر من بعضهم إلى بعض عاراً في الجاهلية ولا حراماً في الاسلام....

ويعلق الدكتور طه حسين على الوضع الاجتماعي في الحجاز فيقول[١]: أليس مما يلفتك أنك لا تكاد تظفر بشيء من الفحش في عبث هؤلاء الحجازيين ولهوهم؟ بل إنك ترى الفقهاء والمحدثين وأصحاب الزهد والنسك يستعذبون هذا الظرف الحجازي ويستحبونه ولا يتحرجون من الاستماع له بل ومن الاشتراك فيه ما ظل حجازياً. حتى إذا انتقل إلى الشام ظهر النفور منه والسخط عليه.

---

[١] - حديث الاربعاء ١:٣٠٧

ولنعد الان إلى أبي السائب المخزومي لنلمس مواقفه من ذلك كله لمس اليد. وسنلمسه مرة أخرى في سلوك ابن أبي عتيق وعبد الله بن جعفر.

نسبه:

هو من بني مخزوم، وإقامة بني مخزوم في الطائف.

جاء في جمع الجواهر: ٣٧:

..... وكان جده يكنى أبا السائب أيضاً وكان خليطاً للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأقبل الاسلام فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: نعم الخليط كان أبو السائب، لا يداري ولا يماري...

واسم أبي السائب عبد الله، وكان أشراف المدينة يقدمونه ويعظمونه لشرف منصبه، وحلاوة طربه.

عصره:

عاش أبو السائب المخزومي أكثر حياته في العصر الاموي ولا ندري تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته.

أخلاقه وظرفه:

أ - أبو السائب يعطف على العبيد والاماء ويمارس أعمالهم بدلاً منهم، ولا سيما بعد أن عرف أنهم يحملون همّ الحب وثقل العمل.

جاء في مصارع العشاق ٢: ١٧:

مر أبو السائب المخزومي بسوداء تستقي وتسقي بستاناً قال: ويلك مالك؟ قالت: صديقي عبد بني فلان، كان يحبني وأحبه ففطن بنا مولاه فقيده وصيرني مولاي في هذا العمل. فقال أبو السائب: والله لا يجمع عليك ثقل الحب وثقل ما أرى. وقام مقامها في الزرنوق[٢] فكل الشيخ وعرق فجعل يمسح العرق ويقول: - اللهم فرج ما ترى.

---

[٢] - الزرنوق: النهر الصغير

ب ـ ويعطف على المحبين، ويشتري لهم الجواري اللواتي يحبونهن :

ورد في مصارع العشاق ١:١٠٨ ٢:٢٨٣-٢٨٤: عشق رجل من ولد سعيد بن العاص جارية مغنية بالمدينة، فهام بها دهراً وهو لا يعلمها بذلك ثم إنه ضجر فقال: وا لله لأبوحن لها، فأتاها عشية، فلما خرجت إليه قال لها: بأبي أنت أتغنين :

أتجزون بالود المضاعف مثله ... فإن الكريم من جزى الود بالود

قالت: نعم وأغني أحسن منه ثم غنت :

للذي ودنا المودة بالضعف ... وفضل البادي به لا يجازى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الا ... رض وأقطار شامها والحجازا

فاتصل ما بينهما، فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فابتاعها وأهداها إليه، فمكثت عنده سنة، ثم ماتت، فبقي مولاها شهراً أو أقل ثم مات كمداً عليها، فقال أبو السائب المخزومي: حمزة سيد الشهداء، وهذا سيد العشاق، فامضوا بنا حتى ننحر على قبره سبعين نحرة، كما كبر النبي ـ صلى ا لله عليه وسلم ـ على قبر حمزة رضي ا لله عنه سبعين تكبيرة. وبلغ أبا حازم الخبر فقال: ــ ما من محب في ا لله يبلغ هذا. ما هذا الا ولي .

جـ ـ وأبو السائب يعاقب الغراب لأنه يفرق بين الاحباب. أبو السائب والغراب.

ورد في مصارع العشاق ١:١٤٦ و ٢:١٦٥

مررت بسوق الطير، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضاً، فإذا أبو السائب قائماً على غراب يباع، قد أخذ طرف ردائه، وهو يقول للغراب، يقول لك قيس بن ذريح :

الا يا غراب البين قد طرت بالذي ... أحاذر من لبنى، فهل أنت واقعُ؟

ثم لا تقع ويضربه بردائه، والغراب يصيح .

د ـ ويصلح بين العشاق ويكون سفيراً لهم، وينقل رسائلهم وأشعارهم بينهم .

جمع الجواهر ٣٧

قال الزبير بن بكار: كانت سليمة المشاوبية عاشقة لأفلح مولى الزهريين، فأتاها يوماً أبو

السائب المخزومي فقال: ـ حدثيني هل أتاك من حبيبك رسول؟ قالت: لا. قال: فهل قلت فيه شعراً. قالت: نعم ثم أنشدته:

الا ليت لي نحو الحبيب مبلغاً — يبلغه التسليم ثم يقولُ:
سليمة نضو ما ترجى حياتها — من الشوق، والشوق الشديد قتول
تعالج أحزاناً وتبكي صبابة — وأنت لما تلقاه فيك جهول

فقال أبو السائب: أنا وا لله رسولك، فحفظ الشعر وتوجه نحو أفلح في يوم صائف فيه حر فلقيه رجل من الانصار فقال: يا أبا السائب! من أين أقبلت؟ قال: من عند سليمة المشاوبية. قال: وإلى أين تريد؟ قال: أريد أفلح مولى الزهريين أبلغه رسالتها. قال: أفي مثل هذا الوقت؟ قال: ـ إليك عني يا ابن أخي، فإن الجنة حفت بالمكاره، وما عبد ا لله الا بالصبر على ما ترى.

ويدعو ا لله وهو متعلق بأستار الكعبة، أن يرحم العاشقين، ويرى دعوته هذه أفضل من الحجة والعمرة معاً في آن واحد.

جاء في الموشى ص ١٠٦:

.... أخبرني الاصمعي قال: رأيت أبا السائب المخزومي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: ـ اللهم ارحم العاشقين، واعطف عليهم قلوب المعشوقين بالرأفة والرحمة، يا أرحم الراحمين. فقلت: يا أبا السائب أفي هذا المقام تقول هذا المقال؟ فقال: ـ إليك عني. الدعاء لهم أفضل من حجة بعمرة.

هـ ـ ويرى أن من يؤمن با لله واليوم الاخر لا يمكن الا يحب الغزل والنسيب.

جمع الجواهر ٣٧ :

قيل لأبي السائب المخزومي: أترى أحداً لا يتمنى النسيب؟ قال: أما من آمن با لله واليوم الاخر فلا.

المخزومي ناقد أدبي:

هـ ـ أبو السائب هزه الشعر الجيد هزاً عنيفاً، وحوادث أبي السائب في اهتزازه للشعر الجيد بلغت مستوى رفيعاً قل أن نجده الا في أصحاب الذوق المرهف والحس الجمالي الرفيع والقلب المتفتح الكبير، والنفس الطيبة. وإليك هذه الحوادث الاربعة التي عده الناس في بعضها من المجانين الذين ينكرون عقولهم، لأنهم يسلمون

عليه فيرد على سلامهم بشعر يردده جواباً لهم ويحلف بطلاق امرأته لا ينطق بحرف غير بيتي الشاعر حتى يعود إلى بيته.

١ ـ أبو السائب وشعر جرير:

مصارع العشاق للسراج ١:١٠٢:

أنشد إنسان أبا السائب القاضي قول جرير:

غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وهو على بئر، فطرح نفسه في البئر بثيابه.

٢ ـ أبو السائب وابن أبي عتيق يوماً يتنافسان في بعض نواحي مكة، فمال أبو السائب ليبول، وعليه طويلته، فانصرف دونها، فقال له ابن أبي عتيق: ما فعلت طويلتك؟ فقال: ذكرت قول كثير:

أرى الإزار على لبنى فأحسده ... إن الإزار على ما ضم محسود

فتصدقت به على الشيطان الذي أجرى هذا البيت على لسانه فأخذ ابن أبي عتيق طويلته فرمى بها وقال: ـ أتسبقني أنت إلى بر الشيطان؟

جمع الجواهر ٣٧-٣٨:

٣ ـ وقال الزبير: حدثني جدي قال: أتاني أبو السائب المخزومي في ليلة بعد ما رقد الناس، فأشرفت عليه وقلت: هل من حاجة؟ فقال: سهرت فتذكرت أخاً لي أستمتع به فلم أجد أحداً سواك. فلو مضيت بنا إلى العقيق فتناشدنا وتحدثنا. قلت: نعم. فنزلت فما زال في حديث إلى أن أنشدته في بعض ذلك بيتي العرجي:

باتا بأنعم ليلة حتى بدا ... صبح يلوّح كالأغر الأشقر

فتلازما عند الفراق صبابة ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقال: أعده. فأعدته، فقال: أحسنت والله! وامرأتي طالق إن نطقت بحرف حتى أرجع إلى بيتي غيره. فمضينا. فتلقانا عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو منصرف من ماله يريد المدينة، فقال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عند الفراق صبابة ... أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلي وقال: متى أنكرت عقل صاحبك؟ قلت: منذ الليلة. ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمي، قاضي المدينة، يريد مالا له على بغلة، وكان أثقل الناس جسماً، ومعه غلام له، على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة فسلم عليه ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عند الفراق صبابة — أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلي وقال: متى أنكرت عقل صاحبك؟ قلت: آنفاً. فتركني وانصرف فقلت: أفتدعه هكذا؟ ما آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق. قال: صدقت يا غلام: هات قيد البغلة، يا غلام احمله على بغلتي وألحقه بأهله، فلما كان بحيث علمت أنه فاته أخبرته الخبر فضحك وقال: قبحك الله ماجناً، فضحت شيخاً من قريش، وعذبتني وأن لا أقدر أتحرك.

٤ - ويبلغ أبو السائب من إعجابه بالشعر حداً يدفعه إلى إشراك جاريته زبدة في سماعه.

قال القحذمي[٣] : حدثني أبو وردان قال: حدثني أبي قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس:

صدعت القلب ثم ذررت فيه — هواك فليم فالتأم الفطور[*]
تغلغل حيث لم يبلغ شراب — ولا حزن ولم يبلغ سرور

فصاح بجارية له سندية تسمى زبدة فقال لها: أي زبدة عجلي، فقالت: أنا أعجن. فقال: ويحك تعالي، ودعي العجين فجاءت فقال لي: أنشد بيتي قيس. فأعدتهما. فقال لها: يا زبدة، أحسن قيس والا فأنت حرة! ارجعي الان إلى عجينك ادركيه يبرد.

٥ - المخزومي يرد رداً قاسياً على المتعصبين الذين يرون في رواية بعض أنواع الشعر كفراً، ولا يرى في هذه الرواية حرجاً:

---

(٣) - الاغاني (الدار) ٩: ١٩٠

(*) - الفطور: الشقوق.

الموشح ٣٢٣:

...... حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدني أبو السائب، وهو معتمد على يدي ونحن نريد قباء:

نباح كلب بأعلى الواد من سرف أشهى إلى النفس من تأذين أيوب

فقلت: من قال هذا الشعر؟ قال: قيس بن ذريح. قلت: من أيوب؟ قال: النبي (صلى الله عليه وسلم) قلت: والله لا يحل لك أن تروي هذا، هذا كفر. قال: اذهب، لا صحبك الله. علي أنا من كفره شيء؟

٦ ـ والمخزومي نقاد ممتاز للشعر:

وهو يعتمد في النقد على ذوقه وعلى ما تواضع عليه الناس من علاقة الحب بالحبيب، فهو ينكر على الشاعر أن يكون ذا قلب قُلّب، وأن يعامل الحبيبة بمثل ما تعامله به، وقصته في أبيات عروة بن أذينة، وأبيات الهذلي شاهدة على ذوقه الادبي الرفيع، وهو ينكر مرة ثانية على عروة بن أذينة حين لا يندم على رحيل الاحباب، وهو يحكم على شاعر آخر أنه لم يحب قط حين ادعى أنه قادر على هجر حبيبته إذا بدا منها ما يريبه:

جمع الجواهر ٣٨-٣٩:

روى مصعب بن الزبير عن عبد الله قال: كان عروة بن أذينة نازلاً في داري بالعقيق، فسمعته ينشد لنفسه:

إن التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك، كما خلت هوى لها
فيك الذي زعمت بها فكلاكما أبدى لخلته الصبابة كلها
ولعمرها إن كان حبك فوقها يوما، وإن ضحيت إذا لأظلها
فإذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما لي حاجة أخشى صعوبتها وأرجو بذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال: لعلها معذورة في بعض رقبتها فقلت: لعلها

فأتاني أبو السائب المخزومي فقلت له بعد الترحيب والبشر: ألك حاجة؟ قال: نعم. أبيات لعروة ابن أذينة بلغني أنك سمعته ينشدها، فلما بلغت إلى قوله: فدنا وقال: لعلها معذورة في بعض رقبتها فقلت: لعلها. فطرب وصاح، وقال: هذا

وا لله الصادق العهد، الدائم الود، لا الذي يقول[٤] :

إن كـان أهلـك يمنعونـك رغبـة — عني فـأهلي بـي أضـن وأرغـب
أوليـس لي قربـى إذا أقصيتـني — حـدبوا علي وعنـدي المستعتب
فلئـن دنـوت لأدنـون بعفـة — ولئـن نـأيت لمـا ورائـي أرحـب
يـأبى وعيشـك أن أكـون مقصـرا — رأي أعيـش بـه وقلـب قلـب

لقد عدا هذا الأعرابي طوره، وتجاوز قدره، وإني لأرجو أن يغفر ا لله لصاحب الابيات الاولى لحسن الظنِ بها، فعرضت عليه الطعام فقال: سبحان ا لله أويحسن الظنٍ بمثلي أن يأكل طعاماً بعد سماع هذه الابيات؟ وا لله ما كنت لأخلط بها طعاماً حتى الليل وانصرف .

٧ ـ الموشح ٣٣١:

قال عبد ا لله بن عبيدة: قلت لأبي السائب المخزومي: أما أحسن عروة ابن أذينة حين يقول:

لبثوا ثـلاث منـى بمـنزل غبطـة — وهـم علـى غـرض لعمـرك مـاهم
متجـاورين بغـير دار إقامـة — لـو قـد..أجدَّ رحيلهم لم يندمـوا
ولهـنّ بـالبيت العتيـق لبانـة — والبيـت يعرفهـن لـو يتكلـم
لـو كـان حيـا قبلهـن ظعائنـا — حيـا الحطيـم وجوههـن وزمـزم
وكـأنهن وقـد حسـرن لواغبـا — بيـض بأكنـاف الحطيـم مركـم

فقال: لا وا لله ما أحسن ولا أجمل، بل أهجر وأخطأ يصفهن بهذه الصفة ولا يندم على رحيلهن ....

٨ ـ الموشح ٣٥٢:

....بلغني أن أبا السائب المخزومي لما أنشد قول إسحاق الاعرج في عبد العزيز بن مروان وهو:

فلمـا بـدا لي مـا رابـني — نزعـت نـزوع الابـي الكريـم

قال: قبحه ا لله، وا لله ما أحبها ساعة قط .

---

(٤) ـ الابيات لبعض الهذليين

٩ ـ ولأبي السائب نقد طريف يريد أن يجمع فيه بين الوضع النفسي للشاعر عند نظمه لشعره وبين وضعه الجسدي. جاء في زهر الاداب ٤:٩٩٧ـ٩٩٨:

أنشد أبو السائب المخزومي قول الخنساء:

وإن صخراً لمولانا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نشتو لنحار
وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فقال: الطلاق لي لازم ــ إن لم تكن قالت هذا ــ وهي تتبختر في مشيها وتنظر في عطفها.

١٠ ـ ويسمع أبو السائب الشعر لشاعرين فيوازن بين عاطفة وعاطفة فيعجبه الشاعر الرقيق وينكر الشاعر القاسي في علاقتهما بالحبيبة. جاء في زهر الاداب ١:٢١٠ـ٢١١:

روى الزبير عن رجل لم يسمه، قال لي أبو السائب: أنشدني للأحوص فأنشدته:

قالت ــ وقلت: تحرجي وصلي ... حبل امرىء بوصالكم صب
صاحب إذن بعلي! فقلت لها ... الغدر شيء ليس من ضربي[*]
شيئان لا أدنو لوصلهما ... عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلست فاجعه ... والجار أوصاني به ربي
عوجا كذا نذكر لغائبة ... بعض الحديث مطيكم[**] صحبي
ونقل لها: فيم الصدود ولم ... نذنب بلَ انت بدأت بالذنب؟
إن تقبلي نقبل وننزلكم ... منا بدار السهل والرحب
أو تهجري تكدر معيشتنا ... وتصدعي متلائم الشعب

فقال: هذا هو المحب حقاً، لا الذي يقول:

وكنت إذا حبيب رام هجري ... وجدت وراءيَ منفسحاً عريضا

ثم قال: اذهب فلا صحبك الله ولا وسع عليك[٥]

(*) ـ ضربي: طبعي وخلقي.

(**) ـ عوجاً مطيكم: ميلوا بركائبكم.

(٥) ـ الخطاب لقائل البيت الاخير.

كلمة ختامية :

هذا هو أبو السائب المخزومي الانسان الأعجوبة في عصر بني أمية :

١ ـ يعطف على العبيد والإماء.

٢ ـ يوفق بين العاشقين.

٣ ـ يهزه الشعر الجيد هزاً عنيفاً.

٤ ـ لا يرى في إنشاد الشعر مهما كان نوعه ذنباً.

٥ ـ يرى أن من يؤمن با لله واليوم الاخر لا يمكن أن ينكر النسيب.

٦ ـ ذواقة للشعر ينقده نقداً ذاتياً معتمداً على شعوره. وأكبر الظن أننا لا نجد كثيراً من هؤلاء الناس الاتقياء والظرفاء في آن واحد.

عبد الله بن جعفر (الطيار)

(١-٨٠ هـ) (٦٢٢- ٧٠٠م)

تمهيد

هزتني سيرة بعض الرجال في العصر الاسلامي الاول وقدمت لثلاثة منهم دراسات وهم:

١ ـ مسكين الدارمي في موقفه من المرأة.

٢ ـ ابن أبي عتيق في حبه للشعر والغناء.

٣ ـ أبو السائب المخزومي في انطلاقه ومحافظته على دينه في آن واحد.

ثم بدا لي أن أضيف إلى ابن عتيق وأبي السائب المخزومي شخصية ثالثة لا تقل عنهما حباً للحياة وطرباً بالغناء مع تمسكه بورعه وأخلاقه. وهذه الشخصية هي عبد الله بن جعفر الطيار، وستلمس لمس اليد ما تتمتع به هذه الشخصيات الثلاث من مزايا في حرصها على متع الحياة أولاً وحرصها على دينها وعقيدتها ثانياً أو عكس ذلك صحيح، في حرصها على دينها وعقيدتها أولاً وفي حرصها على متع الحياة ثانياً.

وإليك البحث:

الفصل الاول

عبد الله بن جعفر

سيرته

اسمه: عبد الله بن جعفر

نسبه: عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين بن أبي طالب، عبد مناف، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي.....

مولده: ولد بأرض الحبشة، حين هاجر إليها والده (ابن عساكر حرف العين ٢٠ ـ٢١) قبل السنة التي هاجر فيها رسول الله (ص) إلى المدينة (ابن عساكر ٦٨)

كنيته: أبو جعفر، ويقال أبو محمد.

أبوه: جعفر الطيار

أمه: أسماء بنت عميس الخثعمية، هاجر بها جعفر إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله وعوناً ومحمداً.

زوجته: زينب بنت الامام علي بن أبي طالب، شقيقة الحسن والحسين. تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له بنتاً تزوجها الحجاج بن يوسف، وحضرت زينب مع أخيها الحسين وقعة كربلاء وحملت مع السبايا إلى الكوفة، ثم إلى الشام، وكانت ثابتة الجنان، رفيعة القدر، خطيبة، فصيحة، لها أخبار (الاصابة ٨: ١٠٠ / نسب قريش٤١/ وعرَّفها بزينب الكبرى، طبقات ابن سعد ٨:٣٤١ /جمهرة الانساب ٣٣. وليس في هذه المصادر ما يشير إلى مكان وفاتها ودفنها. ويقول علي مبارك في الخطط التوفيقية ٥:٩ تعليقاً على التداول من أن صاحبة الترجمة هي المدفونة في الحي المعروف الان باسمها في القاهرة:"لم أر في كتب

التاريخ أن السيدة زينب بنت علي رضي ا لله عنهما ـ جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات (و انظر أعيان الشيعة للعلامة محسن الامين.)

إخوانه: وولد لجعفر بن أبي طالب بن هاشم عبد ا لله ومحمد وعون (ابن عساكر حرف العين ١٩) أمهم أسماء بنت عميس، أما أخوة عبد ا لله بن جعفر لأمه فهم يحيى بن علي بن أبي طالب و محمد بن أبي بكر الصديق.

أولاده: جاء في (مروج الذهب ٢:٣٠٠) قتل عون ومحمد ابنا جعفر الطيار بالطف مع الحسين بن علي ولا عقب لهما. وولد لعبد ا لله بن جعفر علي واسماعيل واسحاق ومعاوية... وذكر ابن حبيب في المحبر في باب من نصب رأسه من الاشراف ٤٩١:«ومحمد وعون ابنا عبد ا لله بن جعفر ـرضي ا لله عنهم ـ فحملت رؤوسهم إلى يزيد بن معاوية فنصبها بالشام.

زواج أمه بعد قتل أبيه :

١ـ تزوجت أسماء بنت عميس أم عبد ا لله بن جعفر بعد موت أبيه أبا بكر الصديق، وولدت له محمد بن أبي بكر.

٢ـ ثم تزوجت بعد موت أبي بكر علي بن أبي طالب فولت له يحيى بن علي وأولاداً درجوا (ماتوا) ولا عقب له منها (مروج الذهب ٢:٣٠٠)

مقتل والده جعفر:

ولابد من أن نذكر مقتل والده جعفر في معركة مؤتة.

جاء في ابن عساكر (حرف العين ٢٣ ـ٢٤):

بعث رسول ا لله ـ ص ـ جيشاً واستعمل عليهم زيد ين حارثة وقال: إن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد ا لله بن رواحة، فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل. ثم أخذها عبد ا لله بن جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية عبد ا لله فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح ا لله عليه. فأتي خبرهم النبي ـ ص ـ فخرج إلى الناس فحمد ا لله وأثنى عليه ثم قال :

إن إخوانكم لقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذ

الراية جعفر فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، أو استشهد، ثم أخذها سيف من سيوف الله تعالى، خالد ابن الوليد ففتح الله عليه.... (ومرت بقية الخبر في أحاديث عبد الله بن جعفر عن الرسول)

وجاء في أعيان الشيعة (ترجمة جعفر ٤:١٢٤)

قتل جعفر -عليه السلام- شهيداً في غزوة مؤتة. وكانت في جمادى الاولى سنة ٨ من الهجرة...

وكان سببها فيما رواه الواقدي أن رسول الله - ص - بعث الحارث بن عمير الازدي سنة ٨ إلى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال:

أين تريد؟ قال: الشام. قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فأمر به فأوثق رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه - ولم يقتل لرسول الله - ص - رسول غيره، فبلغ ذلك رسول الله فاشتد عليه، وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث فأسرعوا وخرجوا وعسكروا بالجوف، فأمر عليهم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة.

وقال لهم رسول الله:

....إنكم ستجدون رجالا في الصوامع معتزلين للناس، فلا تعرضوا لهم، ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً فانيا، ولا تقطعن نخلا ولا شجراً، ولا تهدمن بناء...

....ولما رأى جعفر الحرب قد اشتدت، والروم قد غلبت، اقتحم عن فرس له أشقر ثم عقره، وهو أول من عقر في الاسلام فرساً، وقاتل حتى قطعت يده اليمنى فأخذ الراية بيده اليسرى وقاتل إلى أن قطعت اليسرى أيضاً، فاعتنق الراية وضمها إلى صدره حتى قتل.... ووجد فيه نيف وسبعون وقيل نيف وثمانون ما بين طعنة وضربة ورمية... وقاتل زيد حتى قتل طعناً بالرماح، وقاتل عبد الله بن رواحة حتى قتل.... وأخذ اللواء خالد بن الوليد فحمل به ساعة.... فانحاز بالمسلمين وانكشفوا راجعين....

قال البلاذري: ولذلك قال رسول الله ــ ص ــ لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة،ولذلك سمي جعفر الطيار.

وكان رسول الله بعد أن قتل جعفر بمؤتة من أرض الشام لا يبعث بعلي في وجه من الوجوه الا ويقول:(رب لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين) وكان جعفر قد عاد من الحبشة سنة سبع من الهجرة، ومعه أولاده وزوجته (مروج الذهب ٢:٢٨٩)

أسماء تروي خبر مصرع زوجها:

روى الواقدي بسنده عن أسماء بنت عميس قالت: أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه، فأتاني رسول الله ـ ص ـ وقد منأت ـ دبغت ـ أربعين مناً من أدم وعجنت عجيني وأخذت بنيَّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخلت على رسول الله ـ ص ـ فقال: يا أسماء أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه. فضمهم وشمهم، ثم ذرفت عيناه، فبكى فقلت: يا رسول الله، لعله بلغك عن جعفر شيء.؟ قال:نعم، إنه قتل اليوم، فقمت أصيح واجتمع النساء، فجعل رسول الله ـ ص ـ يقول: يا أسماء لا تقولي هجراً ولا تضربي صدراً، ثم خرج حتى دخل على ابنته فاطمة وهي تقول: واعماه، فقال على مثل جعفر فلتبك الباكية... ثم قال: اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا بأنفسهم اليوم (انظر أحاديث عبد الله بن جعفر)

(وبقية الخبر في فصل الرسول وعبد الله بن جعفر وأحاديثه عنه).

شذور:

أ ـ أولاد أبي طالب: كان له ستة أولاد: أربعة ذكور وابنتان، فالذكور طالب وهو أكبرهم، وبه يكنى، وعليٌّ أمير المؤمنين، وجعفر وعقيل، وكان علي أصغرهم وجعفر أسن منه بعشر سنين وعقيل أسن من جعفر بعشرين سنة، وطالب أسن من جعفر بعشر سنين. والبنتان: أم هانىء وجمانة، وأمهم فاطمة بنت أسد. (أعيان الشيعة٨:١١٤-١٢٦)

ب ـ خرج جعفر بن أبي طالب إلى (الحبشة) ثم تتابع المسلمون

الطبري ٢:٣٣١

جـ ـ من خطاب الحسين ـ رحمه الله في كربلاء.... أليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟

الطبري ٥:٤٤٤-٤٢٥

د ـ جعفر يعيش في كنف العباس وعلي في كنف الرسول ـ ص ـ

الطبري ٢:١٣١٣

هـ ـ بعث الرسول ـ ص ـ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً (ثم يورد الطبري نص رسالة النبي (ص) إلى النجاشي وجواب النجاشي).

الطبري ٢:٦٥٢

و ـ إسلام جعفر: أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل

أعيان الشيعة ٤:١١٨- ١٢٧

ز ـ كان جعفر يكنى أبا عبد الله وأبا المساكين لرأفته عليهم وإحسانه إليهم.

أعيان الشيعة ٤:١١٨-١٢٧

ح ـ وكان لزينب ـ زوجة عبد الله بن جعفر ـ المكان البارز في جميع الحالات .... فهي التي كانت تمرض العليل، وتراقب أحوال أخيها الحسين ساعة بعد ساعة.... وهي التي كانت تدبر أمر العيال والاطفال وتقوم في ذلك مقام الرجال، وهي التي دافعت عن زين العابدين لما أراد ابن زياد قتله، وبها لاذت فاطمة الصغرى وأخذت بثيابها لما قال الشامي ليزيد: هب لي هذه الجارية .... والذي يلفت النظر في ذلك الوقت أنها كانت متزوجة بعبد الله بن جعفر فاختارت صحبة أخيها على البقاء عند زوجها، وزوجها راضٍ بذلك، مبتهج به، وقد أمر ولديه بلزوم خالهما والجهد بين يديه ففعلا حتى قتلا....

أعيان الشيعة ٧:١٣٦

ط ـ يشك الامام محسن الامين في قبر زينب الذي يقال: إنه في دمشق أو في القاهرة ويرى أنه في المدينة كما أن قبر زوجها عبد الله جعفر في المدينة كذلك.

أعيان الشيعة ٧:١٤٠-١٤١

وفاة عبد الله بن جعفر

١ـ يتفق الرواة على أن وفاته بالمدينة

٢ـ وأن الذي صلى عليه أبان بن عثمان ـ والي المدينة ـ

ثم يختلفون :

١ـ في سنة وفاته أهي سنة ثمانين أو إثنتين وثمانين أو أربع وثمانين أو ست وثمانين، أو تسعين وأغلب الظن أنه مات سنة وثمانين ـ هو عام الجحاف ـ وهو سيل كان ببطن مكة، جحف بالحاج، وذهب بالابل عليها الحمولة، وكان الوالي يومئذ على المدينة أبان بن عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان.

٢ـ وفي سنه يوم وفاته قالوا: هو يومئذ ابن سبعين سنة وقيل ابن ثمانين وقيل وهو ابن تسعين سنة.

وكل هذه الروايات المتضاربة تضارباً كبيراً نجدها في ابن عساكر (حرف العين ٦٧ ـ ٦٨)

الفصل الثاني

رسول الله (ص) وابن جعفر

صلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلة قرابة ورحمة. وأما صلة القرابة فهي أنه ابن جعفر ابن أبي طالب عم رسول الله ـ وأما صلة الرحمة فقد مات جعفر في معركة مؤتة، وأبناؤه صغار كالافراخ، فرحمهم الرسول وعطف عليهم وأدناهم.

١ـ قال عبد الله:

(ابن عساكر حرف العين ٢٦)

إنما أحفظ حين دخل رسول الله (ص) على أمي ينعى لها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان الدموع، حتى تقطر لحيته، ثم قال: اللهم! إن جعفرا قد قدم إلى أحسن الثواب فأخلفه في ذريته، ... لفت أحداً من عبادك في ذريته.... ثم نزل رسول الله (ص) فدخل بيته وأدخلني، وأمر بطعام يصنع لأهلي(١)، وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده ـ والله ... داء طيباً مباركاً، عمدت سلمى خادمه إلى شعير فطحنته ثم نسفته، ثم أنضجته، وأدمته بزيت، وجعلت عليه فلفلاً، فتغديت أنا وأخي معه، فأقمنا ثلاثة أيام ... بيته، ندور معه كلما صار في بيت إحدى نسائه. ثم رجعنا إلى بيتنا.

٢ـ وجاء فيه ص ٢٤:

ثم أمهلهم (آل جعفر) ثلاثاً فلم يأتهم، ثم أتاهم، ثم قال: لا تبكوا أخي بعد اليوم. ثم قال: ائتوني ببني أخي، فجيء بنا كأننا فراخ، فقال. ادعوا لي الحلاق، فأمره فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد فشبه عمنا أبي طالب وأما عبد الله فشبه

خَلقي وخُلقي، ثم أخذ بيدي فأشالها (رفعها) ثم قال:

- اللهم أخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقته، فجاءت أمنا فذكرت يتمنا فقال: أنى تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والاخرة؟

٣ـ وظل رسول الله كلما رأى أبناء جعفر يعطف عليهم.

قال عبد الله بن جعفر: كان النبي (ص) إذا قدم من سفر تلقى صبيان أهل بيته، وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحمّاني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة إما الحسن وإما الحسين فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة.

(التهذيب ٧: ٣٢٩)

٤ـ وأخرج الحافظ (ابن عساكر) عن عبد الله بن جعفر أنه قال:

لو رأيتني وقثماً وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب، إذ مر بنا رسول الله (ص) على دابة فقال: ارفعوا هذا إلي فقال: فجعلني أمامه، وقال لقثم: ارفعوا هذا إلي، فجعله وراءه، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قثم، فما استحيى من عمه أن حمل قثماً وتركه قال: ثم مسح على رأسي ثلاثاً، كلما مسح قال: اللهم اخلف جعفراً في ولده (التهذيب ٧: ٣٢٩)

٥ـ ويشبهه به ويدعو له:

قال عبد الله بن جعفر: سمعت من رسول الله (ص) كلمة ما أحب أن لي بها حمر النعم، سمعته يقول: جعفر أشبه خَلقي وخلقي، وأما أنت يا عبد الله فأشبه خلق الله بأبيك.

٦ـ وعنه أنه قال:

قال لي رسول الله (ص) يا عبد الله هنيئاً مريئاً، خلقت من طيني، ـ وأبوك يطير مع الملائكة في السماء ـ

٧ـ وروى الحافظ عن عبد الله أنه قال:

رآني رسول الله (ص) وأنا أساوم بشاة أخ لي فقال: اللهم بارك له في صفقته. فما بعت شيئاً ولا اشتريت الا بورك لي فيه.

٨ـ وبايعه الرسول :

قال عبد ا لله: بايعت النبي (ص) أنا وعبد ا لله بن الزبير ونحن أبناء سبع سنين، فلما رآنا تبسم وبسط يده وبايعنا. (التهذيب ٧:٣٢٩)

٩ـ وقال جعفر بن محمد عن أبيه:

بايع رسول ا لله (ص) الحسن والحسين وعبد ا لله بن جعفر، وهم صغار، و لم يبايع قط صغيراً الا هم. (العقد الفريد ٥:١٢٥)

١٠ـ قال عبد ا لله بن جعفر لابن الزبير:

أتذكر إذ تلقينا رسول ا لله (ص) أنا وأنت وابن عباس فقال: نعم، فحملنا وتركك.

١١ـ ولعبد ا لله بن جعفر إضافة إلى هذه الاحاديث التي تتعلق به أحاديث عامة منها :

ـ رآني رسول ا لله (ص) وأنا أساوم بشاة أخ لي فقال: اللهم بارك له في صفقته، فما بعت شيئاً ولا اشتريت الا بورك لي فيه (التهذيب ٧:٣٢٩)

١٢ـ رأيت النبي (ص) يأكل الرطب بالقثاء. (التهذيب ٧:٣٢٨)

١٣ـ أردفني رسول ا لله (ص) ذات يوم خلفه فأسرَّ لي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس. (التهذيب ٧:٣٢٨)

١٤ـ كان أحب ما استتر به رسول ا لله (ص) لحاجته هدف أو حائش نخل فدخل حائط رجل من الانصار، وإذا فيه جمل، فلما رأى النبي (ص) حن وذرفت عيناه، فأتاه والنبي (ص) فمسح سراته وذفراه، فسكن ثم قال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء رجل من الانصار فقال: هو لي يا رسول ا لله فقال: أما تتقي ا لله في هذه البهيمة التي ملكك ا لله إياها، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه (تتعبه مرة بعدمرة) ـ أخرجه مسلم ـ (التهذيب ٧:٣٢٨ـ٣٢٩)

١٥ـ أخرج الحافظ عن عبد ا لله بن جعفر قال:

قال رسول ا لله (ص): إن ا لله مع الدائن حتى يقضي دينه، ما لم يكن فيما

يكره ا لله، فكان عبد ا لله يقول لخازنه: اذهب فخذ لي بدين، فإني أكـره أن أبيت ليلة الا وا لله معي بعد الذي سمعته من رسول ا لله (ص) (التهذيب ٧:٣٢٦)

١٦ـ عن عبد ا لله بن جعفر قال:

نهى الرسول عن قتلهن يعني العوامر (١) (ابن عساكر حرف العين ٢١)

١٧ـ اسماعيل بن جعفر بن عبد ا لله بن جعفر عن أبيه قال:

رأيت رسـول ا لله (ص) وعليـه ثوبـان مصبوغـان بـالزعفران ورداء وعمامـة. (العقد الفريد ٢:١٨٧)

١٨ـ حديث حليمة السعدية يرويه عبد ا لله بن جعفر :

جاء في الطبري ٢:١٥٨ـ١٦٠

عن عبد ا لله بن جعفر بن أبي طالب قال :

كـانت حليمـة السعدية ابنـة أبي ذؤيـب السعدية أم رسـول ا لله (ص) الـتي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها معها زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق شيئاً، فخرجـت على آتان لي قمراء، معنا شارف (الناقة الهرمة) وا لله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنـا أجمع مع صبينا الذي معي من بكائه مـن الجـوع، ومـا في ثديـي مـا يغنيـه، ومـا في شارفنا ما يغذيه، ولكنا نرجو الغيـث والفـرج، فخرجـت علـى آتـاني تلـك، فلقـد أذمّت (جاءت بما يذم) بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفـاً، حتـى قدمنـا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول ا لله (ص) فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك إنما نرجو المعروف من أبي الصبي.... فكنا نقول: يتيـم مـا عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهـه لذلـك، فمـا بقيـت امـرأة بقيـت معـي الا أخذت رضيعا، غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصـاحبي: إنـي لأكـره أن أرجـع من بين صويحباتي ولم آخذ رضيعاً. وا لله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قـال: لا عليك أن تفعلي، فعسى ا لله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته ومـا حملني على ذلك الا أني لم أجد غيره، قالت: فلمـا أخذتـه رجعـت بـه إلى رحلـي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشـرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما ـ وما كان ينـام قبـل ذلـك وقـام زوجـي إلى شـارفنا تلك، فنظر إليها فإذا إنها لحافل فحلب منها حتى شرب وشربت، حتى انتهينا ريـا

وشبعاً، فبتنا بخير ليلة،قالت: يقول لي صاحبي حين أصبحت: أتعلمين ـ والـه ـ يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قلت: وا لله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني تلك، وحملته عليها معي. فوا لله لقطعت بنا الركب ما يقدم عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يابنة أبي ذؤيب: أربعي (انتظري) علينا، أليس هذه أتانك التي خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى وا لله إنها لهي هي. فيقلن: ـ وا لله ـ إن لها لشأناً، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض ا لله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي، حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة، ولا يجدها في ضرع. حتى إذا كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض (ترشح) بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبنا، فلم نزل نتعرف من ا لله زيادة الخير به حتى مضت سنتان وفصلته.

وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً (شديداً) فقدمنا به على أمه وقلنا لها: يا ظئر لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة! قالت: فلم نزل حتى رددناه معنا. قالت: فرجعنا به فوا لله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه في بهم (الغنم الصغيرة) لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد (يركض) فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه، وهما يسوطانه، قالت: فخرجنا أنا وأبوه نشتد، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، وقلنا له: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني والتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا به إلى خبائنا، قالت: وقال لي أبوه: وا لله يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك. قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه. فقالت: ما أقدمك به يا ظئر، وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ قلت: قد بلغ ا لله بابني وقضيت الذي علي وتخوفت الاحداث عليه. فأديته إليك كما تحبين. قالت: ما هذا بشأنك فاصدقيني خبرك. قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها الخبر قالت: فتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: فقلت: نعم. قالت: كلا ـ وا لله ـ ما للشيطان عليه سبيل، وإن لبنيَّ لشأناً أفلا أخبرك خبره؟ قالت: قلت: بلى. قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به، فوا لله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر منه، ثم وقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالارض. رافع

رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة (والخبر كذلك في ابن هشام ١:١٠٨-١١٢)

حاشية ١:

ذكر ابن عساكر أن ابن سعد عدَّ عبد الله بن جعفر في الطبقة الخامسة. (ابن عساكر حرف العين: ٢٠)

حاشية ٢:

ورد في الطبري ٣:٤٢:

لما دنوا (جيش مؤتة) من دخول المدينة تلقاهم رسول الله (ص) والمسلمون وتبعهم الصبيان يشتدون، ورسول الله مقبل مع القوم على دابة، فقال:

ـ خذوا الصبيان فاحملوهم، واعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه

الفصل الثالث

عبد الله بن جعفر والصحابة وأبناؤهم

كانت لابن جعفر علاقات مختلفة المستوى بالصحابة وأبنائهم، ومن هذه العلاقات:

١ـ عبد الله بن جعفر يشيع أبا ذر الغفاري عندما نفاه عثمان إلى الربذة جاء في مروج الذهب ٢:٣٤١

كان عبد الله بن جعفر في وداع أبي ذر الغفاري عندما نفاه عثمان إلى الربذة. وكان في وداعه علي وابناه الحسن والحسين وأخوه عقيل وعمار بن ياسر رغم منع عثمان.

وهذا الوداع للصحابي الجليل ذو دلالة.

(واقرأ الخبر مفصلاً في الغدير ٨:٢٩٦-٢٩٧)

٢ ـ عثمان بن عفان وابن جعفر:

جاء في التهذيب ٣٣٥ وفي ابن عساكر حرف العين ـ ٤٣:

مر عثمان بن عفان بسبخة فقال: لمن هذه؟ قيل لفلان اشتراها عبد الله بن جعفر بستين ألفاً فقال: ما يسرني أنها لي بنعلي.ثم لقي علي بن أبي طالب فقال: الا تأخذ على يدي ابن أخيك وتحجر عليه؟ اشترى سبخة بستين ألفاً ما يسرني أنها بنعلي.

فجزأها عبد الله ثمانية أجزاء، فألقى فيها العمال، فأقبلت، فركب عثمان ركبة فمرّ بها فقال: لمن هذ؟ فقالوا: هذه الارض التي اشتراها ابن جعفر من فلان، فأرسل إليه أن ولني جزءين منها فقال: أما ـ والله ـ دون أن ترسل إلي الذين

سفهتني عندهم فيطلبون إليّ ذلك فلا أفعل. ثم أرسل إليه: إني قد فعلت فقال: ـ وا الله ـ لا أنتقصك جزأين من عشرين ومائة ألف. قال: أخذتها.

٣ ـ الزبير بن العوام وابنه عبد ا لله وعبد ا لله بن جعفر:

ورد في ابن عساكر حرف العين ص ٤٤:

أن عبد ا لله بن حعفر أسلف الزبير بن العوام ألف ألف درهم، فلما توفي الزبيربن العوام قال ابن الزبير لعبد ا لله بن جعفر: إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف ألف درهم، فقال: هو صادق فاقبضها إذا شئت، ثم لقيه بعد فقال: يا أبا جعفر، أنا وهمت (غلطت) المال لك عليه، قال: فهو له، قال: لا أريد ذاك. قال: فاختر، إن شئت فهو له، وإن كرهت ذلك فلك فيه نظرة ما شئت. قال: أبيعك، ولكني أقوم، فقوم الاموال، ثم أتاه، فقال: أحب الا يحضرني وإياك أحد، فقال له عبد ا لله: يحضرنا الحسن والحسين فيشهدان لك. قال: ما أحب أن يحضرنا أحد. قال: انطلق، فمضى معه فأعطاه خراباً وسباخاً لا عمارة له، وقومه عليه، حتى إذا فرغ قال عبد ا لله لغلامه: ألق إلي في هذا الموضع مصلى. فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلى، فصلى ركعتين وسجد، فأطال السجود يدعو، فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه :احفر في موضع سجودي. فحفر، فإذا عين قد أنبطها (أخرجها) فقال له ابن الزبير: أقلني، (اعفني) قال: أما دعائي وأجابة ا لله إياي فلا أقيلك، فصار ما أخذ منه أعمر مما في يدي ابن الزبير.

٤ ـ عبد ا لله بن جعفر وعبد ا لله بن عمر بن الخطاب:

وكانت بينهما مودة. جاء في العقد الفريد ٧:١٠:

أ ـ كان عبد ا لله بن عمر يحب عبد ا لله بن جعفر، فغدا عليه يوماً، وعنده جارية في حجرها عود، فقال ابن عمر: ما ذاك يا أبا محمد؟ قا : وما تظن به يا أبا عبد الرحمن، فإن أصاب ظنك فلك الجارية قال: ما أراني الا أخذتها، هذا ميزان رومي.

فضحك ابن جعفر وقال: صدقت، هذا ميزان يوزن به الكلام، والجارية لك.

ثم قال: هات. فغنت.

أيا شوقاً إلى البلد الامين ... وحيّ بين زمزم والحجون

ثم قال: هل ترى بأساً؟ قال: هل غير هذا؟ قال: لا قال: فما أرى بهذا بأساً.

ب ـ وجاء في ابن عساكر ـ حرف العين ـ ص : ٣٢:

عن ابن عمر أنه كان يأتي عبد الله بن جعفر، فقال له الناس: إنك تكثر إتيان عبد الله بن جعفر. فقال ابن عمر: لو رأيتم أباه أحببتم هذا، وجد ما بين قرنه (قرن جعفر الطيار) إلى قدمه سبعون بين ضربة بسيف وطعنة برمح.

ووردت في الصفحة نفسها عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا لقي عبد الله بن جعفر قال له: السلام عليك يابن ذي الجناحين.

٥ ـ عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق:

وكانت علاقتهما وثيقة فكلاهما ذو نفس متفتحة للحياة وكلاهما يحب الطرب، (وقد مرت حادثتان من علاقتهما في موضوعي "نشوة الغناء ورعشة الشعر المنشورين في العددين ٣٥٦ و ٣٦٠ من مجلة المعرفة ـ ولا أرى ضرورة لإعادة النشر، فمن شاء الاطلاع على علاقة ابن جعفر بابن أبي عتيق فليرجع إليهما)

٦ ـ عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص:

ولكن دماثة أخلاق ابن جعفر وحسن خلقه لم يمنعاه من مجابهة من يريد الغض منه. جاء في ابن عساكر ـ حرف العين ـ ٣٩ :

قال عمرو بن العاص لعبد الله بن جعفر عند معاوية، ليصغر منه:

يا ابن جعفر فقال له عبد الله: لئن نسبتني إلى جعفر، فلست بدعي ولا أبتر ثم ولى وهو يقول:

تعرضت قرن الشمس وقت ظهيرة ... لتستر منه ضوءه بظلامكا
كفرت اختيارا ثم آمنت خيفة ... وبغضك إيانا شهيد بذلكا

وقال ابن طاوس: ضوءها (بدل ضوئه) قال: وإنما قال لست بدعي أو أبتر لأن العاص قال: محمد (ص) أبتر فأنزل الله عز وجل: إن شانئك هو الابتر. (سورة الكوثر٣)

٧ ـ رأي عبد الله بن جعفر في عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر:

عن عبد الله بن جعفر قال: ما رأيت مثل عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، كانا لا يحبان أن يعصيا الله طرفة عين، ولا يخالفان الحق قيد شعرة. (رواه الطبراني في مجمع الزوائد ٩:٢٩٢ ونقلتُ ذلك عن الغدير ٩:٢٨)

الفصل الرابع

عبد الله بن جعفر وبنو هاشم

١ ـ علي بن أبي طالب وابن جعفر

كان ابن جعفر وهو ابن أخي علي من أنصار علي المخلصين له، المحاربين في جيشه:

أ ـ كان عبد الله بن جعفر من أمراء علي يوم صفين: (التهذيب ٣٣٥، ابن عساكر ٤٣)

وفي ابن عساكر: قال أبو عبيدة وعلى قريش وأسد كنانة عبد الله بن جعفر (ابن عساكر ٤٣)

ب ـ وعلي يشفق على ابن أخيه عبد الله وعلى ابنه محمد:

وكان علي يشفق على محمد بن علي وعبد الله بن جعفر أن يقتلا في معركة صفين (الطبري ٥:٦١)

جـ ـ علي يؤيد تزويج عبد الله بن جعفر ويستبعد ولديه الحسن والحسين:

خطب الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليهم السلام ــ ابنة المسيب بن نجبة فقال لهم: إن لي فيها أميراً لن أعدو أمره فأتى علياً رضي الله عنه. فأخبره خبرهم واستشاره فقال له:

أما الحسن فإنه رجل مطلاق، وأما الحسين فإنما هي حاجة الرجل إلى أهله، وأما عبد الله بن جعفر فقد رضيته لك. فزوجه المسيب ابنته. (التهذيب ٣٢٩ ـ٣٣٠)

د ـ عبد الله بن جعفر يوصي بتولية أخيه لأمه محمد بن أبي بكر على مصر

(الطبري ٤:٥٥٤) وعزل قيس بن سعد.

هـ ـ عبد الله بن جعفر يعطي عائشة مالا زيادة على ما أعطاه علي حين سيرها إلى المدينة بعد معركة الجمل.

جاء في الطبري (٤:٥١٠)

سير عليٌّ عائشة، وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهزها وموّلها باثني عشر ألفاً من المال فاستقل ذلك عبد الله بن جعفر فأخرج لها مالا عظيماً وقال: إن لم يجزه أمير المؤمنين فهو علي.

و ـ ويتولى الكتابة لعلي. جاء في العقد الفريد ٤:٢١٨ في أيام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ كان يكتب له سعد بن نجران الهمداني ثم ولي قضاء الكوفة لابن أبي الزبير، وكان عبد الله بن جعفر يكتب له.

ز ـ يتولى عبد الله بن جعفر غسل علي بعد مقتله مع الحسن والحسين:

وغسل علياً ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر (الطبري ٥:١٤٨)

ح ـ ويقتل عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي:

فأتي به (بعبد الرحمن بن ملجم) إلى علي فقال: احبسوه ثلاثاً وأطعموه واسقوه، فإن أعش أرى فيه رأيي، وإن أمت فاقتلوه، ولا تمثلوا به فمات من تلك الضربة، فأخذه عبد الله بن جعفر فقطع يديه ورجليه فلم يفزع، ثم أراد قطع لسانه ففزع، فقيل له: لَمَ لَمْ تفزع لقطع يديك ورجليك وفزعت لقطع لسانك؟ قال: إني أكره أن تمر بي ساعة لا أذكر الله فيها. ثم قطعوا لسانه وضربوا عنقه. (العقد الفريد ٥:١٠٢)

ط ـ عبد الله بن جعفر يحتج لعلي في الحكمين عندما أنكر الخوارج التحكيم:

جاء في العقد الفريد٥:٩٣:

فقال علي لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قم فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس. إن هذا الامر كان النظر فيه إلى علي والرضا إلى غيره، فجئتم عبد الله بن قيس (الاشعري) مبرنسا فقلتم: لا نرضى الا به، وأيم الله ما استفدنا به علماً ولا انتظرنا منه غائباً وما نعرفه صاحباً، وما أفسدا بما فعلا أهل العراق، وما أصلحا أهل الشام، ولا رفعا حق علي، ولا وضعا باطل معاوية، ولا يذهب الحق

رقية راق ولا نفخة شيطان، ونحن اليوم على ما كنا عليه أمس.

ي ـ علي يعطي عبد ا لله إذا ما سأله بحق جعفر:

عن الشعبي قال: سمعت عبد ا لله بن جعفر يقول: كنت إذا سألت عمي علياً (ع) شيئاً يمنعني وأقول له بحق جعفر فيعطيني.

٢ ـ الحسن والحسين وعبد ا لله بن جعفر

أ ـ يعودون معاً إلى المدينة بعد مقتل علي:

ثم إن الحسن والحسين وعبد ا لله بن جعفر خرجوا بحشمهم وأثقالهم حتى أتوا الكوفة ..... ثم تحملوا إلى المدينة. (الطبري ٥:١٦٥)

ب ـ الحسن والحسين وعبد ا لله بن جعفر يطلب الصلح والامان من معاوية:

قال الحسن للحسين ولعبد ا لله بن جعفر: إني كتبت لمعاوية في الصلح وطلب الامان. (الطبري ٥:١٦٠)

جـ ـ وينصح الحسين بعدم الخروج والسفر إلى العراق.

جاء في العقد الفريد (٥:١١٩): أرسل عبد ا لله بن جعفر ابنيه عوناً ومحمداً ليردا حسيناً، فأبى حسين أن يرجع....وخرج بابني جعفر معه.....

وفي الطبري: عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: لما خرجنا من مكة كتب عبد ا لله بن جعفر ابن أبي طالب إلى الحسين بن علي مع إبنيه عون ومحمد:

(أما بعد فإني أسألك با لله لما انصرفت أن تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت إليه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك. إن هلكت اليوم طغى نور الارض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين ولا تعجل بالسفر فإني في إثر الكتاب، والسلام) (الطبري ٥:٣٣٧)

ويصف الطبري معركة كربلاء وصفاً مفصلاً، ثم سوق زينب سوق السبايا مع نساء الحسين من العراق إلى الشام وموقفها الجريء من يزيد، وزينب ــ بنت علي ـ هي زوجة عبد ا لله بن جعفر.

د ـ ويطلب من عمرو بن سعيد بن العاص، والي المدينة كتابة كتاب إلى

الحسين لإعطائه الامان فيكتب:

ورد في الطبري: ٥:٣٨٧-٣٨٩:

قام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه وقال: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الامان، وتمنيه فيه البر والصلة وتوثق له في كتابك وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع.

فقال عمرو بن سعيد: أكتب ما شئت وائتني به حتى أختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب، ثم أتى به إلى عمرو بن سعيد فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنه الجد منك ففعل، وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة.

قال: فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: إني رأيت رؤيا فيها رسول الله (ص) وأمرت بأمر أنا ماض فيه، عليّ كان أولي، فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت أحداً بها. وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي.

(ويورد الطبري نص كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين، ونص كتاب الحسين إلى عمرو بن سعيد).

هـ - ويمنع فتنة كادت تنشب بين بني هاشم وبني أمية:

ورد في مصارع الطالبيين: ٧٤

دفن الحسن في جنب قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، فمنع مروان بن الحكم من ذلك، وركبت بنو أمية في السلاح وجعل مروان يقول: "يارب هيجا هي خير من دعة، أيدفن عثمان في أقصى البقيع، ويدفن الحسن في بيت رسول الله (ص)، والله لا يكون ذلك أبداً، وأنا أحمل السيف" فكادت الفتنة تقع، وأبى الحسين أن يدفنه الا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له عبد الله بن جعفر: عزمت عليك بحقي، الا تكلم بكلمة، فمضى به إلى البقيع وانصرف مروان بن الحكم.

و - عبد الله بن جعفر يقتل ولداه عون ومحمد في معركة كربلاء مع الحسين:

جاء في الطبري ٥:٣٩٣:

لم يترك ولدا عبد الله بن جعفر عون ومحمد الحسين رغم أنه أذن لهما بالذهاب، حتى يردا مورده. فانطلق غلامان صغيران من أهل الحسين لعبد الله بن جعفر فأتيا رجلاً من طيء فلجأ إليه فضرب أعناقهما وجاء برؤوسهما حتى وضعهما بين أيدي ابن زياد قال: فهم بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت.

ورد فيه: ٥:٤٦٨-٤٦٩:

قتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأمه جمانة بنت المسيب قتله عبد الله بن قطبة الطائي ثم النبهاني، وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر وأمه الخوصاء بنت خصفة... قتله عامر بن نهشل التيمي.

وجاء في العقد الفريد ٥:١٢٦ قتل الحسين بن علي وقتل معه .... وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر ....

ز ـ ويحذف رجلاً أراد النيل من الحسين بنعله:

لما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنيه مع الحسين، دخل عليه بعض مواليه يعزونه فقال: ولا أظن مولاه ذلك الا أبا اللسلاس فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين قال: فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله. ثم قال: يا ابن اللخناء. أللحسين تقول هذا، والله لو شهدته لأحببت الا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه لمما يسخي بنفسي عنهما، ويهون مصابي بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له، صابرين معه. ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله عز وجل على مصرع الحسين، الا تكن آست حسيناً يدي، فقد آساه ولداي. (الطبري ٥:٤٦٦)

ح ـ عبد الله بن جعفر يشترك مع الحسن والحسين في إعادة لبنى إلى قيس بن ذريح الذي طلقها من قبل ثم ندم:

جاء في الاغاني: ٩:٢١٩:

ذكر القحذمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين .... وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعة من قريش فقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني عنها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه، قالوا: ذلك لك مبتذل منا، فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبنى، فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره، فقالوا:

جئناك بأجمعنا في حاجة لابن عتيق. قال: هي مقضية كائنة ماكانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنةما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال: نعم، قال: تهب لي لبنى زوجتك وتطلقها. قال: فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو عرفنا أنها هذه ما سألناك إياها.... فلم تزل عنده حتى انقضت عدتها، فسأله القوم أباها فزوجها قيساً فلم تزل معه حتى ماتا

الفصل الخامس

عبد الله بن جعفر وبنو أمية

ملاحظة:

بعد مصرع علي والحسين تحول عبد الله بن جعفر تحولاً سلبياً يدور في فلك الامويين ويسكت عن مطالبهم وتهمه حياته الشخصية، حتى إنه زوّج ابنته للحجاج ـ جزار العراق ـ خوفاً على حياته. ومع ذلك فقد ظل يرد رداً حاسماً على من يتهجم على الهاشميين.

عبد الله بن جعفر بعد مقتل علي:

بعد مقتل علي وصلح الحسن ومصرع الحسين لم ير عبد الله بن جعفر بداً من مصانعة الامويين الذين استولوا على السلطة، والاخذ بالتقية. فوفد على معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان. وكانت له صلة بمروان بن الحكم، وعمرو بن سعيد بن العاص وعبد الله بن مروان، فأكرمه الامويون، وأغدقوا عليه الاموال، لصرفه عن السياسة، كما فعلوا بكل أبناء الصحابة في الحجاز، وعرف الامويون حق ابن جعفر واستغلوا تقربه منهم، ومع ذلك فقد كان يثور إذا ما شعر بما يمس كرامته أو كرامة أحد من الهاشميين، ويرد ردوداً قاسية ومن هذه المواقف:

أ ـ رده على معاوية ويزيد بن معاوية في مجلس معاوية:

جاء في ابن عساكر (حرف العين ٣٦)

دخل عبد الله بن جعفر على معاوية، وعنده يزيد ابنه، فجعل يزيد ابنه يعرض بعبد الله في كلامه وينسبه إلى الاسراف في غير مرضاة الله فقال عبد الله ليزيد:

ـ إني لأرفع نفسي عن جوابك، ولو صاحب السرير يكلمني لآجبته فقال

معاوية:

كأنك تظن أنك أشرف منه؟ قال: أي وا لله ومنك ومن أبيك وجدك. فقال معاوية: ما كنت أحسب أن أحداً في عصر حرب بني أمية أشرف من حرب بني أمية، فقال عبد ا لله: بلى وا لله يا معاوية، إن أشرف من حرب من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه. قال: صدقت يا أبا جعفر، سل حاجتك، فقضى حوائجه وخرج.

ويذكر الشعبي في قصة طويلة رواها ابن عساكر من ٣٦ ـ٣٧، استجارة حرب بعبد المطلب وحماية عبد المطلب له حين أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه.

قال الشعبي (ابن عساكر حرف العين ٣٦ ـ ٣٧) :

ومعنى قول عبد ا لله لمعاوية: إن أشرف من حرب من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه، لأن حرب بن أمية كان إذا كان في سفر عرضت له ثنية أو عقبة تنحنح، فلم يجترىء أحد أن يربأها (يشرف عليها) حتى يجوز حرب بن أمية، فكان في سفر فعرضت له ثنية فتنحنح فوقف الناس ليجوز. فجاء غلام من بني تميم فقال: ومن حرب؟! ثم تقدمه فنظر إليه حرب فتهدده، وقال: سيمكنني ا لله تعالى منك إذا دخلت مكة. فضرب الدهر من ضربه ثم أن التميمي بدت له حاجة بمكة، فسأل عن أعز أهل مكة فقيل له: عبد المطلب بن هاشم، فقال: أردت دون عبد المطلب، فقيل: الزبير بن عبد المطلب، فقدم إلى مكة فأتى باب الزبير بن عبد المطلب، فقرع عليه بابه، فخرج إليه الزبير فقال: ما أنت؟ إن كنت مستجيراً أجرناك، وإن كنت طالب قرى قريناك فأنشأ التميمي يقول (من الكامل)

لاقيت حرباً بالثنية مقبلاً	**والصبح أبلج ضوؤه للساري**
قف: لاتصاعد وا كتنى ليروعني	**ودعا بدعوه معلن وشعار**
فتركته خلفي وسرت أمامه	**وكذاك كنت أكون في الاسفار**
فمضى يهددني الوعيد ببلدة	**فيها الزبير كمثل ليث ضاري**
فتركته كالكلب ينبح وحده	**وأتيت قرم مكارم وفخار**
قرما هزبرا يستجار بقربه	**رحب المياه مكر ما للجار**
وحلفت بالبيت العتيق وركنه	**وبزمزم والحجر ذي الاستار**
إن الزبير لمانعي بمهندٍ	**عضب المهزة صارم بتار**

فقال الزبير: قد أجرتك وأنا ابن عبد المطلب فسر أمامي، فإنا معشر بني عبد المطلب إذا أجرنا أحداً لم نتقدمه، فمضى بين يديه والزبير في إثره، فلقيه حرب فقال: التميمي ورب الكعبة، ثم شد عليه، ثم اخترط سيفه الزبير ونادى في أخوته، ومضى حرب يشتد، والزبير في إثره، حتى صار إلى دار عبد المطلب، فلقيه عبد المطلب خارجاً من الدار فقال: مَهْيَمْ (مالك) يا حرب فقال: آتيك. قال: أدخل الدار فدخل، فأكفأ عليه جفنة هاشم التي كان يهشم فيها الثريد، وتلاحق بنو عبد المطلب، بعضهم على إثر بعض، فلم يجترئوا أن يدخلوا دار أبيهم، فاحتبوا بحمائل سيوفهم، وجلسوا على الباب، فخرج إليهم عبد المطلب، فلما نظر إليهم سره ما رأى منهم، فقال: يا بَنِيَّ أصبحتم أسود العرب. ثم دخل إلى حرب فقال له: قم فاخرج فقال: يا أبا الحارث: هربت من واحد، وأخرج إلى عشرة؟ فقال: خذ ردائي هذا فالبسه، فإنهم إذا رأوا ردائي عليك لم يهيجوك. فلبس رداءه وخرج فرفعوا رؤوسهم، فلما نظروا إلى الرداء عليه، نكسوا رؤوسهم، ومضى حرب. فهو قوله: إن أشرف من حرب من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه.

ب ـ عبد الله بن جعفر يغضب فيسترضيه معاوية:

قال سعيد بن دينار: بينا عبد الله بن جعفر ذات ليلة عند معاوية بالخضراء بدمشق، إذ ورد على معاوية كتاب ابن عمه الحسن بن علي فضرب به الارض ثم قال: من يعذرني من ابن أبي تراب؟ والله لهممت أن أفعل به وأفعل، فجعل عبد الله يجيب معاوية بما يشتهي ويداريه حتى قام فانصرف، وكانت بينهما خوخة (كوَّة) فلما صار إلى منزله دعا برواحله فقعد عليها وخرج من ساعته متوجهاً إلى المدينة، فدخل معاوية على زوجته ابنة قرظة مغتماً فقال: ما صنعت الليلة يابن جعفر؟! خشنت عليه وأسمعته في ابن عمه ما يكره، وحاله حاله، وحبه لنا، ومودته إيانا، فقالت: بئس والله ما صنعت، ما أقبح ما أتيت به إليه. فبات ليلته مغتماً يتذكر صنيعه به، ولا يأخذه النوم حتى أسحر. فقام وتوضأ وقال: والله لا ينبهه من فراشه غيري، فمشى إليه فدخل منزله فإذا ليس فيه أحد، فسأل عنه فقيل له: رحل إلى المدينة ساعة جاء من عندك، فبعث في أثره وقال: أدركوه فردوه، ولو دخل منزله، فلحقوه فردوه إليه، فجعل معاوية يعتذر إليه ويقول: لا والله لا تسمع مني أبداً أمراً تكرهه، وأخبره باغتمامه بما كان منه تلك الليلة، وقال: قد أقطعتك ووهبت لك كل شيء مررت به، وقد كان مر بإبل وغنم كثيرة لمعاوية، فأمر بها

فقبضها وذهب ما كان في نفسه. (التهذيب ٧:٣٣١-٣٣٢)

جـ ـ عبد الله بن جعفر يرد على يحيى بن الحكم رداً قاسياً:

ورد في العقد الفريد ٤:٩١:

قدم عبد الله بن جعفر على عبد الله بن مروان، فقال له يحيى بن الحكم: ما فعلت خبيثة(١) (يريد المدينة المنورة) فقال له عبد الله بن جعفر: سبحان الله، يسميها رسول الله (ص) طيبة، وتسميها خبيثة؟ لقد اختلفتما في الدنيا وستختلفان في الاخرة. قال يحيى: لأن أموت في الشام أحب إلي من أن أموت بها. قال: اخترت جوار النصارى على جوار رسول الله (ص) قال يحيى: ما تقول في علي وعثمان قال: أقول ما قاله خير مني فيمن هو شر منهما: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ سورة المائدة: ١١٨.

ووردت القصة في العقد الفريد: ١:١٧١: قال يحيى بن الحكم (لابن جعفر) أمن خبيثة كان وجهك أبا جعفر قال: وما خبيثة؟ قال: أرضك التي جئت منها قال: سبحان الله رسول الله (ص) يسميها طيبة و تسميها خبيثة؟ ...

د ـ عبد الله بن جعفر يتحدى عمرو بن العاص بنسبه:

قال عمرو بن العاص لابن جعفر في مجلس معاوية: يابن جعفر ـ يريد تصغيره ـ فقال له: لئن نسبتني إلى جعفر فلست بدعي ولا أبتر، ثم ولى وهو يقول:

تعرضت قرن الشمس وقت ظهيرة لتستر منه ضوءه بظلامكا
كفرت اختياراً ثم آمنت خيفة وبغضك إيانا شهيد بذلكا

وإنما قال: لست بدعي ولا أبتر لأن العاص قال: إن محمداً(ص) أبتر. فأنزل الله فيه: إن شانئك هو الابتر.(الكوثر :٣)

هـ ـ عبد الله بن جعفر يضرب الوليد بن عقبة الحد وعلي يعد الضربات وذلك في زمن عثمان.

جاء في الغدير ٦:١٢٤

عن حضين بن أبي ساسان الرقاشي قال: حضرت عثمان بن عفان.... رضي الله عنه ـ وأتي بالوليد بن عقبة قد شرب الخمر، وشهد عليه عمران بن أبان ورجل

آخر، فقال عثمان لعلي - رضي الله عنهما - : أقم عليه الحد، فأمر علي عبد الله بن جعفر ذي الجناحين - رضي الله عنهما - أن يجلده فأخذ في جلده، وعلي - رضي اله عنه - يعد حتى جلد أربعين ثم قال له: أمسك. جلد رسول الله (ص) أربعين وأبو بكر أربعين - رضي الله عنه - وجلد عمر - رضي الله عنه - ثمانين وكل سنة، وهذا أحب إلي.

عبد الله بن جعفر وخلفاء بني أمية

١ - رأي معاوية في عبد الله بن جعفر: (ابن عساكر : حرف العين ٣٣)

قال عبد الملك بن مروان: سمعت أبي يقول: سمعت معاوية يقول:

بنو هاشم رجلان: رسول الله (ص) لكل خير ذكر، وعبد الله بن جعفر لكل شرف، لا والله ما سابقه أحد إلى شرف الا سبقه، وإنه لمن مشكاة رسول الله (ص)، والله لكأن المجد نازل منزلاً لا يبلغه أحد، وعبد الله نازل وسطه.

٢ - معاوية ينزل عبد الله بن جعفر في داره، ويثني عليه:

وفد عبد الله بن جعفر على معاوية بن أبي سفيان فأنزله في داره، فقالت له ابنة قرظة امرأته: إن جارك هذا يسمع الغناء، قال: فإذا كان ذلك فأعلميني، فأعلمته، فاطلع عليه، وجاريه له تغنيه، وهي تقول:

إنك والله لذو ملة يطرفك الأدنى عن الأبعد

وهو يقول: يا صدقكاه. قال: ثم قال اسقيني، قالت: ما اسقيك؟ قال: ماء وعسلاً قال: فانصرف معاوية وهو يقول: ما أرى بأساً، فلما كان بعد ذلك قالت له: إن جارك هذا لا يدعنا ننام الليل من قراءة القرآن. قال: هكذا قومي: رهبان بالليل ملوك بالنهار. (ابن عساكر حرف العين ٣٣)

وأورد العقد الفريد الحادثة نفسها (١٦:٧) وزاد فيها:

فجاء معاوية فسمع شيئاً حركه وأطربه، فقال :

- والله إني لأسمع شيئاً تكاد الجبال تخر له، وما أظنه الا من تلقين الجن.

٣ - معاوية يعطي ابن جعفر عطاء سخياً فتغضب بنو أمية:

وجاء في ابن عساكر حرف العين ٣٤ ـ ٣٥:

ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر قدم على معاوية، وكانت له منه وفادة في كل سنة يعطيه ألف ألف درهم ويقضي له مائة حاجة فقال: يا أمير المؤمنين اقضِ عني ديني، فإني إنما أخذته عليك، وأبسط أملي بإعطاء يومك ودعني وغداً فإنك غداً خير منك اليوم، كما أنك اليوم خير منك أمس ثم قال: (من المنسرح)

يومك يوم يفيض نائله   وخير يوميك، ما بقيت، غدا

ولا يمنعك من قضاء حاجتنا وصلة أرحامنا حاجتنا إليك، وغناك عنا، فإنه ليس من حاجة تتم، ولا كل غنى يدوم. وقد عودتنا من نفسك عادة، صارت لنا عليك فريضة إن تقف بنا عندها رضينا بها، وإن زدتنا عليها حمدنا زيادتها، ونحن وأنت كما قال الاعشى لقيس بن الغمر (من الكامل)

عودت كندة عادة فاصبر بها   اغفر لجاهلها وروِّ سجالها

واعلم أنك لا تقضي لنا حاجة الا قضينا لك مثلها، ولا تقبض عنا يدك، فوا لله إنه لتجيء منك الفلتة من الحرمان فكأنها جاءت من غيرك، يشك فيها الشاهد ويكذّب بها الغائب، ويطلب أهل الرأي المخرج لك منها، حتى ييأسوا لك من العذر ما يجوز الحرمان، وكذلك يحظك الغالب، وقدرك الجالب. فقال معاوية: حسبك فما يتسع مالي لمكافأتك، والله، ما في قريش رجل أحب أن يكون ابن هند منك، ولكني إذا ذكرت مكانك من علي ومكان علي منك انقبضت عنك. ثم أذكر أني لا أقيس بك رجلاً من قريش الا عظمت عنه، ولا أزنك الا رجحت به، فعطفت عليك، فالغالب على ذلك الاوليتان بك مني: وسيلة لا أحب دالتها، وأثرة لا أستكثر عطيتها، أما ما عودتكم فهو لكم ما كنتم لي، وأما أن تقضي من حقي ما أقضي من حقك، فإني لا أكون على حال الا وفي يديك مني أكثر مما في يدي منك، وأما البخل فكيف أبخل بمال، إنما يغيب عني أربعة أشهر حتى يرجع إلى بيت مالي، فقد اعتقدت به المنن، وما أحبسه الا لأعطيه، وما أجمعه لأمنعه، ولأنا بإعطائه أشد سروراً منكم بأخذه، وقد قدمت علي، وقد خلفت الحقوق في المال، ولك عودة، والدهر بيني وبينك أطرق مشتت، فلا تضربن بيني وبينك بالاساءة،

كم دينك يابن جعفر؟ قال: ألف ألف درهم فقال معاوية: يا سعد اقضها عنه، واجبها غداً من فسا ودرا بجرد.

فغضبت قريش الشام حين أعطاه ألف ألف درهم، فقالت: نظن معاوية هائباً لابن جعفر.

فقال معاوية (من الطويل):

تقول قريش حين خفت حلومها ... نظن ابن هند هائباً لابن جعفر
فمن ثم يقضي ألف ألف ديونه ... وحاجته مقضية لم تؤخر
فقلت: دعوني لا أبا لأبيكم ... فما منكم فيضي له غير أعور
أليس فتى البطحاء ما تنكرونه ... وأول من أثنى بتقواه خنصري
وكان أبوه جعفر ساد قومه ... ولم يك في الحرب العوان بجيدر(؟)
فما ألف ألف فاسكتوا لابن جعفر ... كثير ولا أمثالها لي بمنكر
ولا تحسدوه وافعلوا كفعاله ... ولن تدركوه كل ممشى ومحضر

٤ ـ معاوية يعود ابن جعفر ويسمع الغناء فيطرب:

دخل معاوية على ابن جعفر يعوده فوجده مفيقاً (أبل من مرضه) وعنده جارية في حجرها فقال: ما هذا يا ابن جعفر؟ فقال: جارية أرويها من رقيق الشعر فتزيده حسناً بحسن نغمتها قال: فلتقل. فحركت عودها وغنت ـ وكان معاوية قد خضب

أليس عندك شكر للتي جعلت ... ما ابيض من قادمات الريش كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه ... ريب الزمان وصرف الدهر والقدم

فحرك معاوية رجله. فقال له ابن جعفر: لم حركت رجلك يا أمير المؤمنين؟ قال: كل كريم طروب. (العقد الفريد ٤:٣٢٥)

٥ ـ معاوية يزور ابن جعفر في بيته فيسمعه الغناء فيطربه.

وجاء في العقد الفريد ٧:١٦-١٧

ثم إن معاوية أرق ذات ليلة، فقال لخادمه خديج: إذهب فانظر من عند عبد

ا لله، وأخبره بخروجي إليه. فذهب فأخبره. فأقام كا من عنده، ثم جاء معاوية فلم ير في المجلس غير عبد ا لله فقال: مجلس من هذا؟ قال: مجلس فلان، قال: مره يرجع إلى مجلسه... حتى لم يبق الا مجلس رجل، فقال: مجلس من هذا؟ قال: مجلس رجل يداوي الاذان يا أمير المؤمنين. قال له معاوية: فإن أذني عليلة فمره فليرجع إلى موضعه، وكان موضع بديح المغني، فأمره ابن جعفر فرجع إلى موضعه، فقال له معاوية: داو أذني من علتها، فتناول العود ثم غنى:

أمن أوفى دمنة لم تكلم — بحومانة الدراج فالمتثلم

فحرك ابن جعفر رأسه فقال معاوية: لم حركت رأسك يا ابن جعفر؟ قال: أريحية أجدها يا أمير المؤمنين، لو لاقيت عندها لآبليت، ولئن سئلت عندها لأعطيت. وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عنده، كانت متولية خضابه، فغناه بديح:

أليس عندك شكر للتي جعلت — ما ابيض من قادمات الشعر كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه — صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طرباً شديدا، وجعل يحرك رجله فقال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، سألتني عن تحريك رأسي، وأنا أسالك عن تحريك رجلك. فقال معاوية: كل كريم طروب، ثم قام فقال: لا يبرح أحد منكم حتى يأتيه إذني، فبعث إلى ابن جعفر بعشرة الاف دينار ومائة ثوب من خاصة ثيابه، وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب.

٦ ـ معاوية يزور ابن جعفر في بيته ويأكل من طعامه:

روى ابن سعدٍ أن معاوية حج فنزل في دار مروان بالمدينة، فطال عليه النهار يوماً وفرغ من القاتلة فقال: يا غلام انظر من بالباب. هل ترى هل ترى الحسن بن علي أو الحسين أو عبد ا لله بن جعفر؟ فخرج الغلام فلم ير منهم أحداً. وسأل عنهم فقيل له: هم مجتمعون عند عبد ا لله بن جعفر يتغدون عنده، فأتاه فأخبره فقال: وا لله ما أنا الا كأحدهم، ولقد كنت أجامعهم في مثل هذا. فقام فأخذ عصاً فتوكأ عليها وقال: مُرّ يا غلام. فخرج بين يديه حتى دق الباب عليهم، فقال: هذا

أمير المؤمنين، فدخل فأوسع له عبد الله بن جعفر عن صدر فراشه، فجلس فقال: غداء يابن جعفر، فقال: ما يشتهي أمير المؤمنين فليدع به. فقال: أطعمنا مخاً. قال: يا غلام هات مخاً. فأتى بقصعة فيها مخ فأقبل معاوية يأكل ثم قال عبد الله: يا غلام زدنا مخاً. فزاد ثم طلب آخر فقال معاوية: إنما كنا نقول: يا غلام زدنا سخيناً (طعام قريش). فأما قولك: زدنا مخاً فلم أسمع به قبل اليوم. يا ابن جعفر ما يسعك الا الكثير. فقال عبد الله: يعين الله على ما ترى يا أمير المؤمنين، فأمر له بأربعين ألف دينار. وكان عبد الله قد ذبح في ذلك اليوم كثيراً من الشياه. وأمر بمخهن فنكت له فوافق ذلك (حضور) معاوية. (التهذيب ٧:٣٣٦-٣٣٧)

٧ـ معاوية ينهي عبد الله بن جعفر عن السرف ثم يعذره:

عاتب عبد الله بن جعفر بعض أصحابه على السخاء فقال: يا هؤلاء إني عودت الله عادة وعودني عادة وإني أخاف إن قطعتها قطعني....

وبلغ معاوية أن عبد الله أصابه جهد وكثر دينه فكتب إليه:

لمال المرء يصلحه فيغني	**مفاقره أعف من القنوع**
يسد به نوائب تعتريه	**من الأيام كالنهر الشروع**

وكتب إليه يأمره بالقصد، ويرغب فيه، وينهاه عن السرف ويعيبه عليه، فأجابه عبد الله:

سلي الطارق المعترَّ يا أم خالد	**إذا ما أتاني بين ناري ومجزري**
أأبسط وجهي، إنه أول القرى	**وأبذل معروفي له دون منكري**
وقد أشتري عرضي بمالي، وما عسى	**أخوك إذا ما ضيع العرض يشتري**
يؤدي إليَّ الليل أضياف ماجد	**كريم ومالي سارحا مال مقتر**

فأعجب معاوية ما كتب به إليه، وبعث له بأربعين ألف دينار، عوناً له على دينه. (التهذيب ٧:٣٤٦)

٨ـ عبد الله بن جعفر يعلم معاوية بن أبي سفيان صنع المسك

جاء في المحب والمحبوب ٣:١٤٦-١٤٧

الغالية: وهي مسك وعنبر يعجنان باللبان وقيل: إن معاوية شمها من عبد الله بن جعفر فوصفها له فقال: هذه غالية (ومن ذلك اسمها)

ب ـ مع يزيد بن معاوية

١ ـ مرت بنا حادثة عبد الله بن جعفر ويزيد في مجلس معاوية حين عرض يزيد بابن جعفر ونسبه إلى الاسراف فرد عليه عبد الله رداً قاسيا، وذلك في الفقرة أ من عبد الله بعد موت علي.

٢ ـ وفد عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية فأمر له بألفي ألف. (ابن عساكر: حرف العين١٩)

٣ ـ وقع يزيد في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه لرجال من خاصته: احكم لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم. فحكم لهم بتسعمائة ألف فأجازها. (العقد الفريد ٤:٢٥٧)

٤ ـ المدائني قال: قدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية فقال له: كم كان عطاؤك؟ فقال له: ألف ألف. قال: قد أضعفتها لك. قال: فداك أبي وأمي. وما قلتها لأحد قبلك. قال: قد أضعفناها لك ثانية. فقيل ليزيد: أتعطي رجلاً واحداً أربعة الاف ألف؟

فقال: ويحكم. إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين. فما يده فيها الا عارية.

فلما كان في السنة الثانية قدم عبد الله بن جعفر وقدم مولى يقال له نافع. كانت له منزلة من يزيد بن معاوية. قال نافع: فلما قدمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف وقضى عنه ألف ألف ثم نظر إلي فتبسم فقلت: هذه بتلك الليلة. وكنت سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعته فيها فذكرته بها. وقدمت عليه هدايا من مصر كثيرة. فأمر بها لعبد الله بن جعفر، وكانت مائة ناقة، فقلت لابن جعفر: لو سألته منها شيئاً نحتلبه في طريقنا. ففعل، فأمر بصرفها كلها إليه. فلما أراد الوداع أرسل إلي فدخلت عليه، فقال: ويلك، إنما أخرتك لأتفرغ إليك، هات قول جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي؟

قال: فأسمعته فقال: أحسنت وا لله، هات حاجتك، فما سألته شيئاً الا أعطاني فقال: إن يصلح ا لله هذا الامر من قبل ابن الزبير تلقنا بالمدينة، فإن هذا لا يحسن الا هناك. فمنع وا لله من ذلك شؤم ابن الزبير. (العقد الفريد ١ :٢٦٩ـ٢٧٠)

٥ ـ يزيد يكلف تاجراً عراقياً شراء جارية عبد ا لله بن جعفر عمارة وكانت عزيزة عليه:

(جاء في ابن عساكر حرف العين ٥٨ـ٦١):

كانت عند عبد ا لله بن جعفر جارية مغنية يقال لها عمارة. وكان يجد بها وجداً شديداً. وكان لها منه مكان لم يكن لأحد من جواريه. فلما وفد عبد ا لله بن جعفر على معاوية خرج بها معه، فزاره يزيد ذات يوم فأخرجها إليه، فلما نظر إليها وسمع غناءها وقعت في نفسه، فأخذه عليها ما لا يملكه، وجعل لا يمنعه أن يبوح بما يجد بها الا مكان أبيه مع يأسه من الظفر بها، فلم يزل يكاتم الناس أمرها إلى أن مات معاوية، وأفضى الامر إليه. فاستشار بعض من قدم عليه من أهل المدينة. وعامة من يثق به في أمرها، وكيف الحيلة فيها، فقيل له: إن عبد ا لله بن جعفر لا يرام، ومنزلته من الخاصة والعامة، ومنك ما علمت، وأنت لا تستجيز إكراهه، وهو لا يبيعها بشيء أبداً. وليس يغني في هذا الا الحيلة. قال: انظروا لي رجلاً عراقياً له أدب وظرف ومعرفة، فطلبوه فأتوه به، فلما دخل رأى ثياباً وحلاوة وفهماً فقال يزيد: إني دعوتك لأمر إن ظفرت به فهو حظوتك آخر الدهر، ويد أكافئك عليها ـ إن شاء ا لله ـ ثم أخبره بأمره فقال له: إن عبد ا لله بن جعفر ليس يرام ما قبله الا بالخديعة، ولن يقدر أحد على ما سألت، فأرجو أن أكونه والقوة با لله فأعنّي بالمال. قال: خذ ما أحببت. فأخذ من طرف الشام وثياب مصر، واشترى متاعاً للتجارة من رقيق ودواب وغير ذلك. ثم شخص إلى المدينة فأناخ بعرصة عبد ا لله بن جعفر، ةاكترى منزلاً إلى جانبه، ثم توسل إليه، وقال: رجل من أهل العراق، قدمت بتجارة فأحببت أن أكون في عز جوارك وكنفك إلى أن أبيع ما جئت به. فبعث عبد ا لله إلى قهرمانه أن أكرم الرجل. ووسع عليه نزله. فلما اطمأن العراقي سلم عليه أياماً وعرفه نفسه وهيأ له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق وألطافاً، فبعث بها إليه، وكتب معها: يا سيدي إني رجل تاجر ونعمة ا لله علي سابغة، وقد بعثت إليك بشيء من لطف كذا وكذا من الثياب والعطر،

وبعثت ببغلة خفيفة العنان وطيئة الظهر، فاتخذها لرحلك فأنا أسألك بقرابتك من رسول الله (ص) الا قبلت هديتي و لم توحشني بردها، فإني أدين بحبك وحب أهل بيتك، وإن أعظم أملي في سفرتي هذه أن أستفيد الانس بك والتحرم بمواصلتك، فأمر عبد الله بقبض هديته، وخرج إلى الصلاة. فلما رجع مر بالعراقي في منزله، فقام إليه وقبل يده، واستكثر منه، فرأى أدباً وظرفاً وفصاحة، فأعجب به وسر بنزوله عليه، فجعل العراقي في كل يوم يبعث إلى عبد الله بلطف يطرفه، فقال عبد الله: جزى الله ضيفنا هذا خيراً فقد ملأنا شكراً، وما نقدر على مكافأته. فإنه لكذلك إلى أن دعاه عبد الله ودعا بعمارة وجواريه، فلما طاب لهما المجلس وسمع غناء عمارة تعجب وجعل يزيد في عجبه، فلما رأى ذلك عبد الله سر به إلى أن قال: هل رأيت مثل عمارة؟ قال: لا والله يا سيدي. ما رأيت مثلها وما تصلح الا لك. وما ظننت أن يكون في الدنيا مثل هذه الجارية حسن وجه وحسن عمل. قال: وكم تساوي في رأيك؟ قال: ما لها ثمن الا الخلافة. قال: تقول هذا لتزين لي رأيي منها وتجتلب سروري. قال له: يا سيدي،والله إني لأحب سرورك، وما قلت لك الا الجد، وبعد فإني تاجر أجمع الدرهم إلى الدرهم طلباً للربح، ولو أعطيتها بعشرة الاف دينار لأخذتها، فقال له عبد الله: عشرة الاف دينار؟ قال: نعم. ولم يكن في ذلك الزمان جارية تعرف بهذا الثمن. فقال له عبد الله: أنا أبيعها بعشرة الاف دينار قال: قد أخذتها. قال: هي لك. قال: قد وجب البيع. وانصرف العراقي. فلما أصبح عبد الله لم يشعر الا بالمال قد وافى، فقيل لعبد الله: قد بعث العراقي بعشرة الاف دينار. وقال: هذا ثمن عمارة فردها وكتب إليه: إنما كنت أمزح معك. وما أعلمك أن مثلي لا يبيع مثلها. فقال: ويحك ما أعلم أن جارية تساوي ما بذلت، ولوكنت بائعها من أحد لآثرتك ولكني كنت مازحاً وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها وموضعها من قلبي، فقال العراقي: إن كنت مازحاً فإني كنت جاداً، وما أطلعت على ما في نفسك، وقد ملكت الجارية وبعثت بثمنها إليك، وليست تحل لك ومالي من أخذها بد، فمانعه إياها فقال له: ليست لي بينة، ولكني أستحلفك عند قبر رسول الله (ص) ومنبره، فلما رأى عبد الله الجد قال: بئس الضيف أنت. ما طرقنا طارق ولا نزل بنا نازل أعظم بلية منك. أتحلفني؟ فيقول الناس: اضطهد عبد الله ضيفه وقهره وألجاه إلى أن استحلفه؟ أما والله ليعلمن الله أني ساءلته في هذا الامر الصبر وحسن العزاء، ثم أمر قهرمانه بقبض المال منه

وبتجهيز الجارية بما يشبهها من الثياب والخدم والطيب، فجهزت بنحو ثلاثة الاف دينار وقال: هذا لك عوضاً عما ألطفتنا، وا لله المستعان.

فقبض العراقي الجارية وخرج بها، فلما برز من المدينة قال لها: يا عمارة إني وا لله ما ملكتك قط، ولا لأأنت لي، ولا مثلي يشتري جارية بعشرة الاف دينار، وما كنت أقدم على ابن عم رسول ا لله (ص) فأسلبه أحب الناس إليه، ولكني دسيس من يزيد بن معاوية، وأنت له، وفي طلبك بعث لي، فاستتري مني وإن داخلني الشيطان في أمرك، أو تاقت نفسي إليك فامتنعي. ثم مضى بها حتى ورد دمشق فتلقاه الناس بجنازة يزيد، وقد استخلف ابنه معاوية بن يزيد، فأقام الرجل أياماً ثم تلطف للدخول عليه. فشرح له القصة، ويروي أنه لم يكن أحد من بني أمية يعدل بمعاوية بن يزيد في زمانه نبلاً ونسكاً، فلما أخبره قال: هي لك، وكل ما دفعه إليك في أمرها فهو لك، وارحل من يومك ولا يسمع بخبرك في شيء من بلاد الشام. فرحل العراقي ثم قال للجارية: إني قلت لك ما قلت حين خرجت بك من المدينة وأخبرتك أنك ليزيد وقد صرت لي وأنا أشهد ا لله أنك لعبد ا لله بن جعفر وأني قد رددتك عليه، فاستتري مني ثم خرج بها حتى قدم المدينة. فنزل قريباً من عبد ا لله بن جعفر فدخل عليه بعض خدمه فقال له: هذا العراقي ضيفك الذي صنع بك ما صنع، وقد نزل العرصة لا حياه ا لله. فقال عبد ا لله: مَه، أنزلوا الرجل وأكرموه، فلما استقر بعث إلى عبد ا لله: جعلت فداك، فلما دخل سلم عليه وقبل يده، وقرب عبد ا لله ثم اقتص له القصة حتى فرغ. ثم قال: وا لله وهبتها لك من قبل أن أراها أو أضع يدي عليها. فهي لك ومردودة عليك وقد علم ا لله أني ما رأيت لها وجهاً الا عندك، وبعث إليها فجاءت وجاء بما جهزها به موفراً.

فلما نظرت إلى عبد ا لله خرت مغشياً عليها، وأهوى إليها عبد ا لله فضمها، وخرج العراقي إليه وتصايح أهل الدار: عمارة عمارة.

فجعل عبد ا لله يقول، ودموعه تجري: أحُلُمٌ هذا؟ أحقٌ هذا؟ ما أصدق بهذا. فقال له العراقي: جعلت فداك، ردها ا لله عليك بإيثارك الوفاء، وصبرك على الحق، وانقيادك له فقال عبد ا لله: الحمد لله. اللهم إنك تعلم أني تصبرت عنها، وآثرت الوفاء وسلمت لأمرك فرددتها علي بمنك. قالت: الحمد لله. ثم قال: يا أخا العراق - ما في الارض أعظم منة منك، وسيجازيك ا لله تعالى، فأقام العراقي أياماً وباع

عبد الله غنماً له بثلاثة عشر ألف دينار، وقال لقهرمانه: احملها إليه. وقل له: اعذر واعلم أني لو وصلتك بكل ما أملك لرأيتك أهلاً لأكثر منه. فرحل العراقي محموداً وافر العرض والمال.

جـ ـ عند عبد الملك بن مروان:

١ ـ عبد الملك يلوم عبيد الله بن قيس الرقيات على بيت ورد في قصيدة مدح بها ابن الرقيات ابن جعفر:

جاء في التهذيب ٧:٣٣٥

قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس: ويحك يا ابن قيس، ما اتقيت الله حين تقول في ابن جعفر:

تزور امرأً قد يعلم الله أنه تجود له كف قليل غرارها

الا قلت قد يعلم الناس؟

فقال ابن قيس: قد ـ والله ـ علمه الله، وعلمته، وعلمه الناس.

٢ ـ عبد الملك ينتزع جارية ابن جعفر انتزاعاً:

. ..... ثم استأذن ابن جعفر على عبد الملك، فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب ثم أخذ بيده فأجلسه معه على سريره، ثم سأله فألطف المسألة حتى سأله عن مطعمه ومشربه.... فلما خرج من عنده هيأ له ابن جعفر هدايا وألطافاً فقلت لبديح: ما قيمة ذلك؟ قال: قيمته مائة ألف من وصفاء ووصائف وكسوة وحرير ولطف من لطف الحجاز. قال: فبعثني بها، فدخلت عليه وليس عنده أحد، فجعلت أعرض عليه شيئاً فشيئاً قال: فما رأيت مثل إعظامه كل ما عرضت عليه من ذلك. وجعل يقول كلما أريته شيئاً: عافى الله أبا جعفر، ما رأيت كاليوم، وما نريد أن يتكلف لنا شيئاً من هذا. وإن كنا لمتذممين محتشمين. قال: فخرجت من عنده وأذن لأصحابه. فواله بينا أنا عند عبد الله بن جعفر أحدثه عن تعجب عبد الملك، وإعظامه لما أهدى إليه. إذا بفارس قد أقبل علينا فقال: أبا جعفر، إن أمير المؤمنين يقرأ السلام عليك ويقول لك: جمعت وخش (لمامة) رقيق الحجاز وأبّاقهم وحبست عنا فلانة، فابعث بها إلينا. وذلك أنه حين دخل عليه أصحابه جعل يحدثهم عن هدايا جعفر ويعظمها عندهم فقال له يحيى بن الحكم: وماذا أبدى إليك ابن جعفر؟

جمع لك وحش رقيق الحجاز وأباقهم وحبس عنك فلانة. قال: ويلـك، وما فلانـة هذه؟ قال ما لم يسمع ـ وا لله ـ أحد بمثلها قط جمالا وكمالا وخلقاً وأدبـاً، لـو أراد كرامتك بعث لك بها إليك. قال: وأين تراها؟ وأين تكون؟ قال: هي ـوا لله ـ معـه وهي نفسه التي بين جنبيه. فلما قال الرسول ما قال، وكان ابن جعفر في أذنه بعض الوقر (الصمم) إذا سمع ما يكره تصام، فأقبل عليه فقال: ما يقـول يـا بديـح؟ قـال: قلت فإن أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول: إنه جاءني بريد من ثغر كـذا يقـول: إن ا لله نصـر المسـلمين وأعزهـم. قـال: أقـرأ أمـير المؤمنـين السـلام وقـل لـه: أعـز ا لله نصحك، وكبت عدوك فقال الرسول: يا أبا جعفر، إني لسـت أقـول هـذا، وأعـاد مقالته الاولى، فسألني فصرفته إلى وجه آخر فأقبل على الرسول وقال: يا مـاص ... أبرسل أمير المؤمنين تهكـم، وأنـت تجيـب هـذا الجـواب؟ أمـا وا لله لأطلـن دمـك. فانصرف وقال: من ترى صاحبنا؟ قال: صاحبك بـالامس، قـال: أظنـه فمـا الـرأي عندك؟ قلت له: يا أبا جعفر قد تكلفت له ما تكلفت، فإن منعتها إياه جعلتها سـبباً لمنعك، ولو طلب أمير المؤمنين إحدى بنـاتك مـا كنـت أرى أن تمنعهـا إيـاه. قـال: ادعها لي، فلما أقبلت رحب بها ثم أجلسها إلى جنبه، ثم قال: أمـا وا لله مـا كنـت أظن أن يفرق بيني وبينك الا الموت قالت: وما ذاك؟ قـال: إنـه حـدث أمـر وليـس وا لله كائناً فيه الا ما أحببت، جاء الدهر بما جاء. قـالت: ومـا هـو؟ قـال: إن أمـير المؤمنين بعث بطلبك، فإن تهوي فذاك، والا وا لله لم يكن أبداً قالت: ما شيء لـك فيه هوى، ولا أظن فيه فرجاً عنك الا فديته بنفسي. وأرسلت عينهـا بالبكـاء فقـال لها: أما إذ فعلت فلا ترين مكروهـاً فمسـحت عينيهـا وأشـار إلي فقـال: ويحـك يـا بديح، استحثها قبل أن تتقدم إلي من القوم بادرة. قال: فدعا بأربع وصـائف ودعـا من صاحب نفقته بخمسمائة دينار، ودعا مولاة له كانت تلـي طيبـه، فدحسـت لـه ربعة عظيمة مملوءة طيباً، ثم قال: عجلها ويلك. فخرجت أسوقها حتى انتهيت إلى الباب، وإذا الفارس قد بلغ عني فما تركني الحجاب أن تمس رجـلاي الارض حتـى أدخلت على عبد الملك بن مروان، وهو يتلظى فقال لي: يـا مـاص ... وكـذا أنـت المجيب عن أمير المؤمنين والمتهكم برسله؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ايـذن لي أن أتكلـم قال: ماذا تقول يا كذا وكذا؟ قلت: أيذن لي ـــ جعلـني ا لله فـداك ـــ أتكلـم. قـال: تكلم. قلت: يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأناً وأقل خطراً من أن يبلغ كلامي من أمـير المؤمنين ما أرى، وهل أنا الا عبد من عبيد أمير المؤمنين، نعـم قـد قلـت مـا بلغـك، وقد يعلم أمير المؤمنين أنا إنما نعيش في كنف هذا الشيخ وإن ا لله لم يزل إليه محسناً،

فجاءه من قبلك شيء ما أتاه قط مثله إنما طلبت نفسه التي بين جنبيه، فأجبت بما بلغك لأسهل الامر عليه، ثم سألني فأخبرته، واستشارني فأشرت عليه، وها هي ذي قد جئتك بها، قال: أدخلها ويلك قال: فأدخلتها عليه وعنده مسلمة ابنه، غلام ما رأيت مثله ولا أجمل منه حين اخضرّ شاربه. فلما جلست وكلمها أعجب بكلامها فقال: لله أبوك أمسكك لنفسي أحب إليك أم أهبك لهذا الغلام فإنه ابن أمير المؤمنين قالت: يا أمير المؤمنين لست لك بحقيقة، وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجهاً قال: فقام من مكانه ما راجعها وأقبل عليها مسلمة فقال: يا لكاع، أعلى أمير المؤمنين تختارين؟ قالت: يا عدو نفسه، إنما تلومني إن اخترتك! لعمر الله لقد فال (ضعف) رأي من اختارتك. قال: فضيقت ـ والله مجلسه، واطلع علينا عبد الملك قدادهن بدهن وارى الشيب. وعليه حلة تتلالا كأنها الذهب، بيده مخصرة يخطر بها، فجلس مجلسه على سريره، ثم قال: إيها، لله أبوك، أمسكك لنفسي أم أهبك لهذا الغلام؟ قالت: لست مختارة على أمير المؤمنين أحداً قال: فأين قولك آنفاً؟ قالت: رأيت شيخاً كبيراً وأرى أمير المؤمنين أشد الناس وأجملهم، ولست مختارة عليه أحداً. قال: دونكها يا مسلمة. قال بديح: فنشرت عليه الكسوة والدنانير التي معي وأريته الجواري والطيب. قال: عافى الله ابن جعفر، أخشي الا يكون لها عندنا نفقة وطيب وكسوة؟ فقلت: بلى، ولكنه أحب أن يكون معها ما تكتفي به حتى تستأنس. قال: فقبضها مسلمة، فلم تلبث عنده الا يسيراً حتى هلكت. قال بديح: فوالله الذي ذهب بنفس مسلمة ما جلست معه مجلساً الا وقفت موقفاً أنازعه فيه الحديث الا قال: ابغني مثل فلانة. فأقول: ابغني مثل ابن جعفر.

قال فقلت لبديح: ويلك! فما أجازه به؟ قال: قال حين رفع إليه حاجته ودينه، لأجيزنك جائزة لو نشر مروان من قبره ما زدته عليها، فأمر له بمائة ألف وأيم الله إني لأحسبه أنفق في هديته ومسيره في ذلك وجاريته التي كانت عدل نفسه مائتي ألف.

٣ ـ عبد الله بن جعفر يصف لعبد الملك بن مروان إقلال ابن أبي عتيق وكثرة عياله ويسأله إنجاده في حادثة طريفة وردت في العقد الفريد ٧:١٩.....وجاء فيها:

لما وصف عبد الله بن جعفر لعبد الملك بن مروان ابن أبي عتيق، وحدثه عن إقلاله وكثرة عياله أمره عبد الملك أن يبعث به إليه، فأتاه ابن جعفر على ما دار بينه

وبين عبد الملك، وبعث إليه، فدخل ابن عتيق على عبد الملك فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين عليه، تميسان كغصني بان. بيد كل جارية مروحة تروح بها عليه. مكتوب بالذهب في المروحة الاولى :

إنني أجلب الرياح وبي يلعب الخجل°
وحجاب إذا الحبيب ثنى الرأس للقبل
وغياث إذا النديم تغنى أو ارتجل

وفي المروحا الثانية :

أنا في الكف لطيفه مسكني قصر الخليفه°
أنا لا أصلح الا لظريف أو ظريفه
أو وصيف حسن الـ ـقد شبيه بالوصيفه

قال ابن عتيق: فلما نظرت إلى الجاريتين هونتا علي الدنيا، وآنستاني سوء حالي، قلت: إن كانتا من الانس فما نساؤنا الا من البهائم فكلما كررت بصري فيهما تذكرت الجنة، فإذا تذكرت امرأتي - وكنت لها محباً - تذكرت النار، قال: فبدأ عبد الملك يتوجع إلي بما حكى له ابن جعفر عني، ويخبرني بما لي عنده من جميل الرأي، فأكذبت كل ما حكاه له ابن جعفر عني. ووصفت نفسي بغاية الملاءة والجدة. فامتلأ عبد الملك سروراً بما ذكرت له، رغماً بتكذيب ابن جعفر، فلما عاد إليه ابن جعفر عاتبه عبد الملك على ما حكاه عني، وأخبره بما حليت به نفسي، فقال: كذب - والله - يا أمير المؤمنين، وإنه لأحوج أهل الحجاز إلى قليل فضلك، فضلاً عن كثيره، ثم خرج عبد الله فلقيني. قال: ما حملك أن كذبتني عند أمير المؤمنين؟ قلت: أفكنت تراني تجلسني بين شمس وقمر ثم أتفاقر عنده، لا - والله - ما رأيت ذلك لنفسي وإن رأيته لي .

فلما أعلم بذلك عبد الله بن جعفر عبد الملك بن مروان، قال: فالجاريتان له. قال: فلما صارتا إلي زرت عبد الله بن جعفر فوجدته قد امتلأ فرحاً، وهو يشرب وبين يديه عس فيه عسل ممزوج بمسك وكافور، فقال: مهيم؟ قلت: قد سوا لله - قبضت الجاريتين. قال: فاشرب فتناولت العس وجرعت منه جرعة، فقال لي: زد فأبيت عليه، فقال لجارية عنده تغنيه: إن هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير

المؤمنين، فخذي في نعتهما، فإنهما كما فلكت صدورهما، فحركت الجارية العود ثم غنت:

عهدي بها في الحي قد جردت — صفراء مثل المهرة الضامرِ
قد حجم الثدي على صدرها — في مشرق ذي بهجة ناضرِ
لو أسندت ميتا إلى صدرها — قام ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا — يا عجبا للميت الناشر

قال: فلما سمعت الابيات طربت ثم تناولت العس فشربت عللاً بعد نهل.

ورفعت عقيرتي أغني:

سقوني وقالوا لا تغنّ ولو سقوا — جبال حنين ما سقوني لغنتِ

ملاحظة: مرت الحادثة في بحث ابن أبي عتيق.

د ـ عبد الله بن جعفر يزوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف الثقفي ويحتج بذلك.

وبذلك (تزويج غير الاكفاء) احتج عبد الله بن جعفر إذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف الثقفي فعيره الوليد بن عبد الملك، فقال عبد الله بن جعفر: سيف أبيك زوجه! والله ما فديت بها الا خيط رقبتي، وأخرى أن رسول الله (ص) قد زوج ضباعة (بنت الزبير بنت عبد المطلب) من المقداد (بن الاسود) وزوج خالدة (بنت أبي لهب) من عثمان بن أبي العاص الثقفي.

العقد الفريد ٧:١٢٢-١٢٣

ويورد العقد الفريد تفصيلات أخرى في الجزء ١ ص: ٢٧٠ - ٢٧١

قال بديح:

وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان، وكان زوج ابنته (أم كلثوم) من الحجاج بن يوسف الثقفي، على ألفي ألف في السر، وخمسمائة ألف في العلانية وحملها إلى العراق، فمكثت عنده ثمانية أشهر، قال بديح: فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان، خرجنا معه حتى دخلنا دمشق، فإنا لنحط رحالنا إذ جاءنا الوليد بن

عبد الملك على بغلة وردة، ومعه الناس، فقلنا: جاء إلى ابن جعفر ليحييه ويدعوه إلى منزله، فاستقبله ابن جعفر بالترحيب، فقال له: لكن أنت لا مرحبا بك ولا أهلاً، فقال: مهلاً يابن أخي، فلست أهلاً لهذه المقالة منك قال: بلى، ولشر منها، قال: وفيم ذلك؟ قال: إنك عمدت إلى عقيلة نساء العرب، وسيدة بني عبد مناف ففرشتها عبد ثقيف يتفخذها، قال: وفي هذا عتب علي يا ابن أخي؟ قال: وما أكثر من هذا؟ قال: وا لله إن أحق الناس أن يلومني في هذا لأنت وأبوك، إنه كان من قبلكم من الولاة ليصلون رحمي، ويعرفون حقي، وإنك وأباك منعتماني ما عندكما حتى ركبني من الدين ما ـ وا لله ـ لو أن عبداً مجدعاً حبشياً أعطاني ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها، فإنما فديت بها رقبتي من النار. قال: فما راجعه بكلمة حتى عطف عنانه، ومضى حتى دخل على عبد الملك، وكان الوليد إذا غضب عرف ذلك في وجهه، فلما رآه عبد الملك قال: مالك يا أبا العباس؟ قال: إنك سلطت عبد ثقيف وملكته ورفعته حتى تفخذ نساء عبد مناف. وأدركته الغيرة، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يعزم عليه الا يضع كتابه من يده حتى يطلقها.... فما قطع الحجاج عنها رزقاً ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا.

قال: وما زال واصلاً لعبد ا لله بن جعفر حتى هلك. قال بديح: فما كان يأتي علينا هلال الا عندنا عير مقبلة من الحجاج، عليها لطف وكسوة وميرة، حتى لحق عبد ا لله بن جعفر با لله......

(العقد الفريد ١: ٢٧٠ـ٢٧١)

ولام بعض الناس عبد ا لله بن جعفر لأنه زوج ابنته من الحجاج فقالوا له:

ـ أتنكح ابنتك الحجاج؟

فقال: أنكحتموه دينكم، والدين أجل من بضع المرأة.

"محاضرات الادباء ٣: ٢٠٨)

سعيد بن المسيب يفسر مناماً:

جاء رجل إلى سعيد بن المسيب فقال: رأيت حدأة على شرف مسجد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقال:

ـ إن صدقت رؤياك فسيتزوج الحجاج من أهل البيت. فتزوج من أم كلثوم بنت عبد ا لله بن جعفر

(محاضرات الادباء ٣: ٢١٠)

الفصل السادس

عبد الله بن جعفر والشعراء

كانت علاقة عبد الله بن جعفر بالشعراء في عصره علاقـة حـب ومـودة، فقـد كان يدافع عنهم ويحميهم ويجود عليهم، فحفظوا له هـذه المكـارم ومدحـوه مدحـاً صادقاً.

ومن الشعراء الذين كانت له بهم علاقة:

١ ـ عبيد الله بن قيس الرقيات (.... نحو ٨٥ هـ) (... نحو ٧٠٤م)

٢ ـ نصيب بن رباح (... ـ ١٠٨ هـ) (.... ـ ٧٢٦م)

٣ ـ الشماخ بن ضرار (... ـ ٢٢هـ) (.... ـ٦٤٣م)

٤ ـ الحزين الكناني (..... نحو ٩٠هـ) (.... نحو ٧٠٩م)

وهذه أخباره معهم:

١ ـ عبيد الله بن قيس الرقيات:

ولعله أكثر الشعراء صلة بعبد الله بن جعفر ومديحاً له.

وسبب ذلك أن ابن جعفر أنقذ ابن قيس الرقيات من موت محقق.

جاء في حاشية طبقات فحول الشعراء نقلاً عن أنساب الاشراف ما يأتي:

أ ـ نذر عبد الملك بن مروان دم ابن قيس الرقيات لقوله (في مدح مصعب بن الزبير):

إنما مصعب شهاب من اللـــــــــه تجلت
عـــــــن وجهـــــــه الظلمـــــــاء

قال ابن قيس الرقيات: فسألت عمن أستعين به عليه، فقيل لي: روح بن زنباع. فأتيت روحاً فقال: ما ذاك عندي. فأتيت عبد الله بن جعفر فاستجرت به فقال لي: أقم فإن لي في كل ليلة رجلاً أدخله معي إلى أمير المؤمنين، فكن ذلك الرجل، فلما كان الليل أدخلني وأمرني أن أجيد الاكل. وأن آخذ ما بين يديه وبين يدي عبد الملك. فنظر إلي عبد الملك فقال: من هذا؟ قال ابن جعفر: هذا القائل:

ما نقموا من بني أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

فقال عبد الملك: ابن قيس؟

قال: نعم.

قال: أما دمه فقد حقنه الله عز وجل، وأما العطاء فلا عطاء له عندي.

فقال ابن جعفر لابن قيس: اللهم غفراً، إذا خرج العطاء فلك عندي عطاؤك.....

(طبقات فحول الشعراء الحاشية ص ٦٥٣-٦٥٤ وغيرها)

وكذلك كان يفعل عبد الله.

قال أبو الحسن المدائني:

ب - كان عبيد الله بن قيس الرقيات منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر، فكان يصله ويقضي دينه، فجاءت صلة عبد الله بن جعفر في بعض ما كانت تجيء وعبيد الله بن قيس الرقيات غائب، وجاء خبر عبد الله بن جعفر وعبيد الله بن قيس الرقيات وعبد الملك بن مروان مفصلاً في الاغاني ٥:٧٦-٨٠.

قال عبيد الله بن قيس الرقيات: خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بمسكن، ورأى معالم الغدر ممن معه دعاني ودعا بمال ومناطق، فملأ المناطق من ذلك المال، وألبسني منها وقال لي: انطلق حيث شئت فإني مقتول. فقلت له: لا والله لا أريم حتى أرى سبيلك، فأقمت معه حتى قتل، ثم مضيت إلى الكوفة. فأول بيت صرت إليه دخلته. فإذا فيه امرأة لها بنتان كأنهما ظبيتان، فرقيت في درجة لها إلى مشربة فقعدت فيها، فأمرت لي المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء، فأقمت كذلك عندها أكثر من حول، تقيم لي ما يصلحني وتغدو علي كل صباح فتسألني بالصباح

والحاجة ولا تسألني من أنا ولا أسألها من هي، فلما طال بي المقام وفقدت الصياح في وغرضت بمكاني غدت على تسألني بالصباح والحاجة، فعرفتها أني غرضت وأحببت الشخوص إلى أهلي فقالت لي: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى، فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه، رقيت إلي وقالت: إذا شئت، فنزلت وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه، ومعهما عبد، وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت: العبدوالراحلتان لك. فركبت وركب العبد معي حتى طرقت علىأهل مكة، فدققت منزلي. فقالوا: من هذا؟ فقلت: عبيد الله بن قيس الرقيات، فولولوا، وبكوا، وقالوا: ما فارقنا طلبك الا في هذا الوقت، فأقمت عندهم حتى أسحرت، ثم نهضت ومعي العبد حتى قدمت المدينة فجئت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء، وهو يعشي أصحابه، فجلست معهم وجعلت أتعاجم وأقول: يار، يار(١)، ابن طيار، فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهي فقال: ابن قيس؟ فقلت: ابن قيس، جئتك عائذاً بك. قال: ويحك ما أجدهم في طلبك وأحرصهم على الظفر بك. ولكني سأكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك، وعبد الملك أرق شيء عليها، فكتب إليها يسألها أن تشفع إلى عمها وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعة. فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها: هل من حاجة؟ فقالت: نعم لي حاجة. فقال: قد قضيت كل حاجة لك، الا ابن قيس الرقيات. فقالت: لا تستثن علي شيئاً فنفح بيده فأصاب خدها، فوضعت يدها على خدها فقال لها: يا ابنتي ارفعي يدك فقد قضيت لك كل حاجة، وإن كانت ابن قيس الرقيات. فقالت: إن حاجتي ابن قيس الرقيات تؤمنه، فقد كتب إلي أبي يسألني أن أسألك ذلك. قال: فهو آمن. فمر به يحضر مجلس العشية، فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك، فأخر الاذن ثم أذن للناس، وأخر إذن ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذن له، فلما دخل عليه قال عبد الملك: يا أهل الشام، أتعرفون هذا؟ قالوا: لا. فقال: هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول:

كيف نومي على الفراش ولما	**تشمل الشام غارة شعواء؟**
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي	**عن خدام العقيلة العذراء**

فقالوا: يا أمير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق! قال: وقد أمنته وصار في منزلي وعلى بساطي، وقد أخرت الاذن له لتقتلوه فلم تفعلوا، فاستأذن ابن قيس الرقيات

أن ينشده مديحه فأذن له فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

عـاد لـه مـن كثـيرة الطـرب ... فعينـه بـالدموع تنسـكبُ
كوفيـة نـازح محلتهـا ... لا أمـم دارهـا ولا صقـب
وا لله مـا إن صبـت إلي ولا ... إن كـان بيـني وبينهـا سـبب
الا الـذي أورثـت كثـيرة في الـ ... ـقلب وللحـب سـورة عجـب

حتى قال فيها:

إن الاغـر الـذي أبـوه أبـو العـ ... ـاص عليـه الوقـار والحجـب
يعتـدل التـاج فـوق مفرقـه ... علـى جبـين كأنـه الذهـب

فقال له عبد الملك: يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأي من العجم وتقول في مصعب:

إنما مصعب شهاب من اللـ ... ـه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكـه ملـك عـزة ليـس فيـه ... جـبروت منـه ولا كبريـاء

أما الامان فقد سبق لك، ولكن وا لله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً!

قال: وقال ابن قيس الرقيات لعبد ا لله بن جعفر: ما ينفعني أماني، تركت حياً كميت، لا آخذ مع الناس عطاء أبداً فقال له عبد ا لله بن جعفر: كم بلغت من السن؟ قال: ستين سنة. قال: فعمر نفسك. قال: عشرين سنة من ذي قبل......... فذلك ثمانون سنة، قال: كم عطاؤك؟ قال: ألفا درهم، فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال: ذلك لك عليّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك، فعند ذلك قال عبيد ا لله بن قيس الرقيات يمدح عبد ا لله بن جعفر:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفـر ... سـواء عليهـا ليلهـا ونهارهـا
تـزور أمـرا قـد يعلـم ا لله أنـه ... تجـود لـه كـف قليـل غرارهـا
أتينـاك نثـني بـالذي أنـت أهلـه ... عليك كما يثني على الروض جارها
فـوا لله لـولا أن تـزور ابـن جعفـر ... لكـان قليـلا في دمشـق قرارهـا
إذا مـت لم يوصـل صديـق ولم تقـم ... طريـق مـن المعـروف أنـت منارهـا
ذكرتـك إن فـاض الفـرات بأرضنـا ... وفـاض بـأعلى الرقتـين بحارهـا

وعنـــدي ممـــا خولـــه ا لله هجمـــة عطــاؤك منهــا شــولها وعشـــارها
مباركـــة كـــانت عطـــاء مبـــارك تمـــانح كبراهـــا وتنمـــي صغارهـــا

كان عبد ا لله بن جعفر يصله في كل سنة بمائة ألف، فأمر عبـد ا لله بـن جعفـر بديحاً غلامه، فخبأ لعبيد ا لله بن قيس صلته فلما قدم أخذها، وقال :

إذا زرت عبـــد ا لله نفســـي فـــداؤه رجعـــت بفضـــل مـــن نـــداه ونـــائل

(انظر الابيات في قصائد عبيد ا لله في مديح ابن جعفر)
(أعيان الشيعة للشيخ محسن الامين ج٨ ص ٤٩...الديوان ١٨٩)

جـ ـ وكان عبد ا لله جواداً ممدحاً، له يقول عبيد ا لله بن قيس الرقيات :

تقـــلت بـــي الشـــهباء نحـــو ابـــن جعفـــر ســـواء عليهـــا ليلهـــا ونهارهـــا

(انظر الابيات في مدائح ابن الرقيات لابن جعفر)
(تاريخ ابن عساكر تراجم حرف العين .... ص ٤٢)

وجاء في تهذيب ابن عساكر تعليق على بيت من هذه القصيدة. قال عبد الملك بن مروان لعبد ا لله بن قيس: ويحك يا ابن قيـس أمـا اتقيـت ا لله حـين تقـول لابـن جعفر :

تـــزور امـــرأ قـــد يعلـــم ا لله أنـــه تجـــود لـــه كـــف قليـــل غرارهـــا

الا قلت: قد يعلم الناس؟ فقال ابن قيس: قـد وا لله علمـه ا لله وعلمتـه وعلمـه الناس (التهذيب ٧:٣٣٥)

د ـ وكان ابن قيس يجعل ابن جعفر مثلاً أعلـى في الكـرم ويدعـو ممدوحيـه إلى التشبه به :

وجه يزيد بن معاوية إلى عبد ا لله بن جعفر مالا جليلاً هدية له. قال: ففرقه في أهل المدينة و لم يدخل منزله منه شيئاً قال: فبلغ ذلك عبد ا لله بن الزبـير، فقـال: إن عبد ا لله بن جعفر لمن المسرفين، قال: فانهي ذلك إلى عبد ا لله بن جعفر فقال :

بخيـل يـرى في الجـود عـاراً وإنمـا　　علـى المـرء عـار أن يضـن ويبخـلا
إذا المـرء أثـرى ثـم لم يـرج نفعـه　　صديـــق فلاقتـــه المنيـــة أولا

قال: فبلغ ذلك عبيد الله بن قيس الرقيات فقال في قصيدة يمدح بها بعض الامراء:

وما كنت الا كالأغر ابن جعفر　　رأى المال لا يقى فأبقى له ذكرا

(ابن عساكر ... ٥٦ جزء تراجم حرف العين)

هـ ـ مدائح بن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر:

إذا راجعنا ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات نجد له أربع قصائد في مدح ابن جعفر وهذه مطالع القصائد:

القصيدة الاولى: ص ٣٦.

مـن عذيـري ممـن يضـن ببـذو　　ل لغـيري علـي يـوم الطـواف

القصيدة الثانية: ص ٨٢

أتينـاك نثـني بـالذي أنـت أهلـه　　عليك كما أثنى على الروض جارها

القصيدة الثالثة: ص ١٤٧

بـات قلـبي تشـفه الاوجـاع　　مـن همـوم تجنهـا الاضـلاع

القصيدة الرابعة: ص ١٨٩

إذا زرت عبـد الله نفسـي فـداؤه　　رجعت بفضـل مـن نـداه ونـائل

النخريج: ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات تحقيق: محمد يوسف نجم دار بيروت ـ دار صادر ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م.

وإليك القصائد كاملة كما وردت في الديوان:

القصيدة الاولى: (الديوان ٣٦)

قال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (عليهم السلام):

مـن عذيـري ممـن يضـن بمبـذو ل لغـيري علـي يـوم الطـواف
أحـور العـين فـائق الحسـن حلـو القـ ـول مـر الفعـال ذي إخـلاف
يعـد الوعـد ثـم يلفـى بخيـلا كـاذب الوعـد، عهـده غـير واف
إن في اليـأس فـاعلمي أم عمـرو راحـة، والبيـان للمـرء شـاف
أنجـزي لي الـذي وعـدت والا فـاذنيني برحلـة وانصـراف
طـال حبسـي لديـك في غـير نيـل يرتجـى منـك يابنـة الاحـلاف
لا أرى مـا وعدتـني أم عمـرو كائنـا مـا مشـى علـى الارض حـاف
أنـت تيمتـني وأقصـدت قلـبي منـك يـا نعـم بـالعذاب الصـوافي
يعلـم ا لله أن حبـك مـني في سـواد الفـؤاد وسـط الشـغاف
إن تجـودي أو تبخلـي أم عمـرو حبـذا أنـت مـن حبيـب مصـاف
فتعـد الغـداة عـن ذكـر نعـم بـني هاشـم بـن عبـد منـاف
كـم تجشـمت مـن مهامـه قفـر نـازح غولـه بعيـد المسـاف
بذمـول عيرانـة ذات لـوث عنـتريس شملـه مقـذاف
عنـتريس تنفـي اللغـام بمثـل الـ ـسبت هـو جـاء كـالجلال الخفـاف
للقـاء ابـن جعفـر ذي الجناحيـ ـن الكريـم النصـاب في الاسـلاف
واضـح الخـد كـامل العقـل والديـ ـن نقـي الثيـاب غمـر العطـاف
ثـابت البيـت في الارومـة والمجـ ـد رحيـب البنـاء للأضيـاف
سـيط الكـف والبنـان علـى السـا ئـل جـزل العطـاء مـأوى الضعـاف
حـل في الجوهـر المهـذب مـن هـا شـم أهـل النـدى وأهـل العفـاف
عـوده في الكـرام عـود نضـار لا كعيـدان خـروع وخـلاف
يهـب الخيـل والولائـد والبخـ ـت بأجلالهـا مـع الاخفـاف
ذاك عبـد إلالـه ذو الجـود والفضـل وذو المكرمـات والاسـعاف
مـا بقـى في البـلاد عـود نضـير في أراك أو في سـلام وغـاف

ويروى

قـد قطعـت البـلاد نحـوك لا أر هـب جدبـا، وفي سـلامي كـاف

وقال أيضاً يمدح عبد ا لله بن جعفر الديوان ٨٢

أتينـاك نثـني بـالذي أنـت أهلـه عليـك كمـا أثنـى علـى الـروض جارهـا

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعلم الله أنه تجود له كف قليل غرارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلا في دمشق قرارها
فإن مت لم يوصل صديق ولم تقم طريق من المعروف أنت منارها
ذكرتك إذ فاض الفرات بأرضنا وجاش بأعلى الرقمتين بحارها
وعندي مما خول الله هجمة عطاؤك منها شولها وعشارها
مباركة كانت عطاء مبارك تمانح كبراها وتنمي صغارها

وقال يمدحه: الديوان ١٤٧ ـ وقد سمع بمرضه:

بات قلبي تشفه الاوجاع من هموم تجنها الاضلاعُ
من حديث سمعته منع النو م فقلبي بما سمعت يراع
إذ أتانا بما كرهنا أبو السلاس كانت بنفسه الاوجاع
قال ما قال ثم راغ سريعا أدركت نفسه المنايا السراع
قال: يشكو الصداع وهو سقيم بك لاباالذي عنيت الصداع
ابن أسماء لا أبالك تعني إنه غيرها لك نفاع

وقال يمدحه الديوان ١٨٩

وفي حاشيته: نقلاً عن الاغاني ٤:١٥٨

كان ابن قيس الرقيات منقطعاً إلى ابن جعفر، وكان يصله ويقضي عنه دينه، ثم استأنس له عبد الملك بن مروان، فأمنه وحرمه عطاءه، فأمره عبد الله بن جعفر أن يقدر لنفسه ما يكفيبه أيام حياته ففعل ذلك فأعطاه عبد الله ما سأل، وعوضه من عطائه أكثر منه.

ثم جاءت صلة عبد الله من عبد الملك، وابن قيس غائب، فأمر عبد الله خازنه فخبأ له صلته، فلما قدم دفعها إليه وأعطاه جارية حسناء فقال ابن قيس:

إذا زرت عبد الله نفسي فداؤه رجعت بفضل من نداه ونائل
وإن غبت عنه كان للود حافظاً ولم يك عني في المغيب بغافلَ
تداركني عبد الاله وقد بدت لذي الحقد والشنآن مني مقاتلي
فأنقذني من غمرة الموت بعدما رأيت حياض الموت جم المناهل

حبـــانيَ لمـــا جئتـــه بعطيـــة وجاريـــة حســـناء ذات خلاخـــل

٢- نصيب بن رباح وابن جعفر:

جاء في الاغاني ١:٣٢١ ونقله ديوانه : ٢١ وورد في العقد الفريد ١:٢٢٢: ٦:١٢٤

ومدح النصيب عبد الله بن جعفر فحمله وأعطاه وكساه فقال له قائل:

- يابن جعفر، أعطيت هذا العبد الاسود هذه الهدايا؟

فقال:

- والله لئن كان أسود إن ثناءه لأبيض وإن شعره لعربي.

- وروي وإن مدحه لعربي وقد استحق أكثر مما نال.

ولم نجد في الديوان ولا في المصادر التي بين أيدينا مدح نصيب لابن جعفر، ولعل ذلك راجع إلى أن ديوانه المجموع المطبوع غير كامل.

وفي رواية أخرى لرأي ابن جعفر في شعر نصيب جاءت في زهر الاداب ٣:٧٦١ ورد ما يلي:

ولما امتدح نصيب عبد الله بن جعفر (رضي الله عنه) أمر له بإبل وخيل وثياب ودنانير ودراهم قال له رجل: أتعطي لمثل هذا العبد الاسودهذا العطاء؟ فقال: إن كان أسود فإن شعره أبيض، وإن كان عبداً فإن ثناءه لحر، ولقد استحق بما قال أكثر مما أعطينا وهل أعطيناه الا ثياباً تبلى ومالا يفنى ومطايا تنضى وأعطانا مديحاً يروى وثناء يبقى.

٣ - الشماخ بن ضرار وابن جعفر:

وللشماخ في ابن جعفر أرجوزة، وقيل إنها في عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق، ففي اسم الممدوح خلاف شديد، ووردت الارجوزة في ديوان الشماخ: ص ٤٦٤- ٤٦٧، وإليك هي:

١ - إنـك يا بـن جعفر نعم الفتى

٢ - ونعم مأوى طارق إذا أتى

٣ ـ ورب ضيف طرق الحي سرى

٤ ـ صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

٥ ـ إن الحديث طرف من القرى

٦ ـ ثم اللحاف بعد ذاك في الذرى

٤ ـ الحزين الكناني وابن جعفر:

(جاء في أعيان الشيعة ٨:٤٨ـ٤٩ وتهذيب ابن عساكر ٧:٣٤٥ وابن عساكر ٦٢ حرف العين، وتفردت الاعيان بذكر اسم الحزين) ووردت القصة في لباب الاداب لأسامة بن منقذ :٩٣

كان الحزين الكناني (واسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، والحزين لقب غلي عليه) مع قوم من أهل المدينة بالعقيق يقامر، فقمر (خسر) ثيابه فبينما هم كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر فقال الحزين: أعطوني ثوباً حتى ألقاه. فأعاروه ثوباً فقال له :

أقول له حين واجهته ... عليك السلام أبا جعفرِ

قال: وعليك السلام فقال :

فأنت المهذب من هاشم ... وفي البيت منه الذي يذكرُ

قال: كذبت. ذاك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال :

فهذي ثيابي قد أخلقت ... وقد عضني زمن منكرُ

قال: فثيابي لك بها، وانصرف إلى منزله، فبعث إليه بثيابه التي كانت عليه.

و لم أعثر على أبيات أخرى في مدح الحزين لابن جعفر.

٥ ـ وابن جعفر يثيب على رواية الشعر الجيد:

جاءني في أمالي المرتضى (١:٣٨٢)

أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الابيات:

لنا نبعة كانت تقينا فروعها ... وقد بلغت الا قليلاً عروقها

وأنا لتستحلي المنايا نفوسنا ... وتترك أخرى مرة لا تذوقها

وشيّب رأسي قبل حين مشيبه ... رعود المنايا بيننا وبروقها

فقال عبد الله: لمن هذا يا شعبي؟

فقال: لحارثة بن بدر. فقال: نحن أحق بهذا فأمر للشعبي بأربعمائة دينار.

٦ ـ ويثيب شاعراً مجهولاً رآه في المنام:

جاء في تهذيب ابن عساكر ٧:٣٣٤

جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام ... كساني من الخز درّاعه
شكوت إلى صاحبي أمرها ... فقال: ستؤتى بها الساعه
سيكسو كها الماجد الجعفري ... ومن كفه ـ الدهر ـ نفاعه
ومن قال للجود: لا تعدني ... فقال: لك السمع والطاعه

فقال عبد الله لغلامه، ادفع إليه جبتي الخز، ثم قال له: ويحك، كيف لم تر جبتي الوشي التي اشتريتها بثلاثمائة دينار منسوجة بالذهب. فقال: أغفي غفية أخرى فلعلي أراها في المنام، فضحك منه عبد الله وقال لغلامه: ادفع إليه جبتي الوشي أيضاً.

٧ ـ ولكن ابن جعفر على كرمه ونبله وعطفه على الشعراء يغضب على الشعراء الذين يهاجمون الهاشميين تقرباً للأمويين ويدعو عليهم:

جاء في معجم الادباء ٤:١٣٢:

جاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له: يابن رسول الله، هذا حكيم الاعور ينشد الناس هجاءكم بالكوفة، فقال: هل حفظت شيئاً؟ قال: نعم. وأنشد:

صلبنا لكم زيداً على جزع نخلة ... ولم أر مهدياً على الجزع يصلبُ
وقستم بعثمان علياً سفاهة ... وعثمان خير من علي وأطيب

فرفعَ عبد الله يديه إلى السماء وهما تنتفضان رعدة فقال:

اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً. فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الاسد.

الفصل السابع

عبد الله بن جعفر والكرم

١ ـ رأي القدماء في جود عبد الله بن جعفر

أ ـ جاء في العقد الفريد ١:٢٠٢

وأما أجواد أهل الاسلام فأحد عشر رجلاً في عصر واحد، لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم.

فأجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد: عبيد الله بن العباس، عبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص.

ثم يعدد العقد الفريد أجواد البصرة والكوفة.

ب ـ جاء في الغدير ٨:٣٣٧

كعبد الله بن جعفر الطيار الذي دوخ الاجواد ذكر ثروته وعطاياه. وقد فصلها ابن عساكر.

جـ ـ رأي الشماخ (وقد ورد في فصل عبد الله بن جعفر والشعراء)

د ـ رأي عبد الله بن قيس الرقيات، وقد ورد كذلك في فصل (عبد الله بن جعفر والشعراء)

هـ ـ معاوية يصف ابن جعفر:

قيل لمعاوية: ما بلغ من كرم ابن جعفر؟ قال: كان ليس له مال دون الناس. كان هو والناس في ماله شركاء. كان من سأله أعطاه ومن استمنحه شيئاً منحه، لا يرى أن يقتصر فيقصر، ولا يرى أنه يحتاج فيدخر.

و ـ قال الفقيه عبد الرحمن بن أبي عمار لابن جعفر: جعلت فداءك، لقد

تفضلت بشيء ما كان يتفضل به الا ا لله .

ثم قال: جعلت فداءك، لئن كان ا لله وعدنا نعيم الاخرة لقد عجلت أنت نعيم الدنيا. (التهذيب : ٣٤٢:٧)

ز ـ كان الحسين يقول: علمنا ابن جعفر السخاء. (التهذيب ٣٣٦:٧)

٢ـ لوم عبد ا لله بن جعفر على كرمه :

لقي ابن جعفر كثيراً من أهله وأصحابه يلومونه على كرمه ويطلبون إليه التماسك ومنهم:

١ـ معاوية بن أبي سفيان، وقد مر لومه في فصل معاوية وابن أبي جعفر حين كتب إليه شعراً فرد عليه بشعر .

٢ـ يزيد بن معاوية، وقد مر لومه له كذلك في فصل: الامويون وعبدا لله بن جعفر ونسبه إلى الاسراف.

٣ـ الحسن والحسين (جاء في العقد الفريد ١٥٣:١)

قال الحسن والحسين عليهما السلام ـ لعبد ا لله بن جعفر :

ـ إنك أسرفت في بذل المال.

قال: بأبي وأمي أنتما. إن ا لله قد عودني في أن يتفضل علي، وعودته أن أتفضل على عباده، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني (وروي أن أقطع عادتي فيقطع عادته).

٤ـ قال عبد ا لله بن مطيع بن الاسود العدوي لابن جعفر: أما أنا فأوصيك بأن تتقي ا لله وتنظر لنفسك. (المحبر ١٤٧).

٣ـ عبد ا لله بن جعفر يضع قواعد للجود:

أ ـ سمع عبد ا لله بن جعفر رجلاً ينشد قول الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة — حتى يصاب بها طريق المصنعِ

فقال: هذا رجل يريد أن يبخل الناس، أمطر المعروف مطراً، فإن صادفت موضعاً فذاك ما أردت، والا رجع إليك فكنت أهله. (التهذيب ٣٤٦:٧) و

(التذكرة الحمدونية ٢:٢٥٩)

ب ـ كان عبد الله بن جعفر يقول: ليس الجواد الذي يعطي بعد المسألة، وإنما الجواد الذي يبتدىء المعروف. (التهذيب ٧:٣٤٦)

جـ ـ أعطى عبد الله بن جعفر امرأة سألته مالا عظيماً فقيل له :

إنها لا تعرفك،وكان يرضيها اليسير. قال:

ـ إن كان يرضيها اليسير فإني لا أرضى الا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

د ـ قال عبد الله بن جعفر: إن الله قد عودني أن يتفضل علي، وأنا عودته أن أتفضل على عباده، فأخاف أن أقطع عادتي، فيقطع عني عادته.

وهكذا يضع ابن جعفر للكرم ثلاث قواعد:

١ـ أمطر المعروف مطراً ولا تبال أين وقع.

٢ـ ليس الكرم بعد السؤال، وإنما هو الابتداء قبل السؤال.

٣ـ العطاء على مقدار من يعطي لا على مقدار من يأخذ.

ويضيف إلى هذه القواعد تعليلاً روحياً لكرمه هو عادة الله في الاحسان إليه وعادته في الاحسان إلى الناس.

٤ ـ نماذج من كرم عبد الله بن جعفر:

حوادث كرم عبد الله بن جعفر كثيرة أوردتها أكثر كتب التراث العربي، ونقتصر على ذكر بعض منها:

أ ـ مروان بن الحكم ـ والي المدينة ـ لا يصل سائلاً ويحيله إلى عبد الله بن جعفر:

جاء في التهذيب ٧:٣٣٤

ذكروا أن أعرابياً عطبت راحلته فوقف على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة، وكا أميراً عليها فسأله أن يحمله، فقال: يا أعرابي، ما عندنا ما نصلك به، ولكن عليك بابن جعفر، فأتى الاعرابي بابه فإذا ثقله سار نحو مكة وراحلته بالباب، عليها متاعها وسيف معلق، فخرج عبد الله فأنشأ الاعرابي يقول:

أبو جعفر من أهل بيت نبوة | صلاتهم للمسلمين طهورُ
أبا جعفر إن الحجج ترحلوا | وليس لرحلي فاعلمنَّ بعير
أبا جعفر ضن الامير بماله | وأنت على ما في يديك أمير
أبا جعفر يابن الشهيد الذي له | جناحان في أعلى الجنان يطير
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجي | فلا تتركني بالفلاة أدور

فقال: يا أعرابي، سار الثقل فعليك بالراحلة بما فيها، وإياك أن تخدع عن السيف فإني أخذته بألف دينار، فولى الاعرابي وهو يقول:

حباني عبد الله نفسي فداؤه | بأعيس موار سباطٍ مشافرُهْ
وأبيض من ماء الحديد كأنه | شهاب بدا والليل داج عساكره
فكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر | سيجري له باليمن واليسر طائره
فيا خير خلق الله نفسا ووالدا | وأكرمه للجار حين يجاوره
سأثني بما أوليتني يابن جعفر | وما شاكر عرفا كمن هو كافره

وزاد في المحبر :١٤٧: فقام الغلام ليأخذ سيفه من قرابه فصاح به عبد الله بن جعفر: دعه ويلك.

ب ـ مر بنا في فصل (عبد الله بن جعفر والشعراء) ما كان يجود به عليهم وما قالوه في مدحه، ولا سيما ذلك الذي رآه في منامه، وهو يكسوه جبته.

جـ ـ ومر بنا نقلاً عن العقد الفريد: ٢٠٥:١ أن ابن جعفر أعطى امرأة سألته مالا عظيماً فقيل له: إنها لا تعرفك، وكان يرضيها اليسير قال: إن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

د ـ قال الاصمعي: جاءت امرأة إلى عبدالله بن جعفر بدجاجة مسموطة (منتوفة) في مكتل فقالت :

بأبي أنت، هذه الدجاجة كانت مثل بنيتي، آكل من بيضها وتؤنسني فآليت أن لا أدفنها الا في أكرم موضع أقدر عليه، ولا والله ما في الارض من موضع أكرم من بطنك، فقال: خذوها منها واحملوا إليها من الحنطة كذا، ومن التمر كذا، وأعطوها من الدراهم كذا، فعدد شيئاً، فلما رأت ذلك قالت: يابني، إن الله لا يحب

المسرفين. (التهذيب٧: ٣٤٠-٣٤١)

وفي المحبر تفصيل للخبر..... فأخذ الدجاجة منها وأمر لها بألف درهم فقالت: أبقاك الله وأعانك على ما أنت فيه. فقال: زيدوها ألفاً، فقالت: حفظ الله نفسك الكريمة، فقال: زيدوها ألفاً، فقالت: أمتعني الله وسائر الناس ببقائك، فقال: زيدوها ألفاً، فقالت: جعلني الله فداء هذه الروح الطيبة، فقال: زيدوها ألفاً فقالت: حسبك يا مسرف فقال لها: والله لو ثبتِّ لثبتُّ. (المحبر ١٤٧)

هـ ـ قال أبو الفخر: سمنت بهيمة وخرجت لأبيعها فمررت بابن جعفر فقال لي: أتبيع هذه البهيمة فقلت: لا والله، ولكن هي لكم، فأعطيتها له وانصرفت وتركته، فأقمنا أياماً، وإذا على الباب عشرون حمالا يحملون حنطة، وعشرة يحملون زيتاً، وخمسة يحملون كسوة، وواحد يحمل مالا فأدخلوا الكل علينا.

(التهذيب ٧: ٣٤١)

و ـ عبد الله وتاجر السكر:

قال محمد بن سيرين: جلب رجل سكراً إلى المدينة فكسد عليه، فقالوا له: بعه لعبد الله بن جعفر. فجاءه فاشتراه منه ثم قال: من شاء فليأخذ من السكر، فقال البائع: هل آخذ معهم؟ قال: خذ. فأخذ الناس وأخذ البائع معهم.

(التهذيب ٧: ٣٤١)

ز ـ يجود وهو مريض:

كان عبد الله محموماً فأتاه أعرابي فقال له:

كم لوعة للندى وكم قلق	للجود والمكرمات من قلقكْ
ألبسك الله منه عافية	في نومك المعتري وفي أرقك
أخرج من جسمك السقام كما	أخرج ذم الفعال من عنقك

فأمر له بمائة ألف دينار.

)التهذيب ٧: ٣٤١)

ح ـ يأتيه مال جزيل فيفرقه على أهل المدينة ولا يدخل منزله منه شيئاً.

بعث يزيد إلى ابن جعفر مالا جزيلاً هدية، فلما وصله فرقه في أهل المدينة و لم

يدخل بيته منه شيئاً، فبلغ ذلك يزيد فقال: إن عبد الله بن جعفر لمن المسرفين. (وبقية الخبر في فصل عبد الله بن جعفر ويزيد).

ط ـ جاء في المحبر: ١٤٧ وله (لعبد الله بن جعفر) أحاديث كثيرة عجيبة.....

ومنها أن مولى لعبد الله بن مطيع الاسود العدوي قدم على مولاه عبد الله بالمدينة فتذاكروا يوماً جود عبد الله بن جعفر فقال المولى: إنا لنسمع من جود عبد الله بأشياء ما سمعنا عن أحد، فقال له عبد الله مولاه: "صدق بكل ما تسمعه عنه، فإن فيه أكثر منه" فقال المولى:"والله إني لأحب أن أرى من ذلك شيئاً. فقال له ابن مطيع:"هات صحيفة" فأتاه بها فكتب فيها ذكر حق فلان باسم المولى على عبد الله بن جعفر بثلاثمائة دينار حالّة (حان موعد وفائها) وأعطاه الصحيفة. وقال: "اذهب إليه فسلم عليه وقل له: هذا ذكر حق لي عليك يا أبا جعفر فإذا سألك: كم هو؟ فأخبره بمبلغه، ففعل المولى ذلك فقال له عبد الله بن جعفر: أهذا المال لك علينا؟ قال: نعم. قال: يا غلام خذ بيده واعطه المال الذي في صحيفته. فأخذ الدنانير ورد ابن جعفر عليه صحيفته. فرجع إلى ابن مطيع فأعلمه القصة وقال: ما رأيت مثل هذا الرجل قط. فقال له ابن مطيع: احتفظ بالدنانير معك، ولا تنفق منها شيئاً واتركه عشرة أيام ثم امضِ بالصحيفة إليه وقل له: هذا ذكر حق لي عليك. فقال له المولى: «أنا أخاف أنَ يعرفني فتكون الفضيحة». فقال له: انظر ما أقول وافعله. فمضى إلى ابن جعفر فقال له ذلك. فما زاده ابن جعفر على أن قال: يا غلام، اعطه ما يقول، فأخذ ثلاثمائة دينار أخرى وردوا صحيفته عليه، ولم يأخذوها. وجاء إلى ابن مطيع وهو مكثر التعجب، فقال له ابن مطيع: احتفظ بالمال عندك. واتركه شهراً ثم عد إليه ففعل فما زاده ابن جعفر أيضاً على أن قال: يا غلام اعطه ما يقول. فصارت الدنانير تسعمائة دينار فقال له ابن مطيع:«هات الان المال كله» فجاءه به فأخذه ابن مطيع وركب إلى ابن جعفر ، ومعه مولاه ذلك. فقال له: يا أبا جعفر اتق الله وانظر لنفسك. قال: وما ذاك؟ قال: أتاك مولاي هذا بصك فذكر أن له عليك ثلاثمائة دينار، وما كانت بينك وبينه معاملة قط، فأعطيته المال ولم تأخذ صكه منه، فجاءك بالصك مرة أخرى ومرة أخرى فأخذ منك تسعمائة دينار فقال: كأنك تقول إني لا أعرف ما لي مما علي. قال: أنا أظن ذلك. فقال: فلا تتوهم ما توهمته. فإنه ما لي درهم وما علي درهم الا وأنا أعرفه، ولقد علمت أن ما يذكره مولاك باطل، ولكني ميلت بين أن أقول: ليس

لك عندي شيء، ويقول: بلى فيسمع ذلك سامع، فأكون بين مصدق ومكذب، وبين أن أدفع إليه ما قال. فكان دفع ذلك إليه أخف علي وآثر عندي. فقال ابن مطيع: أما أنا فأوصيك بأن تتقي ا لله وتنظر لنفسك. ثم قال: يا غلام هات ما معك. فدفعه إلى ابن جعفر فقال له ابن جعفر: ما هذا؟ قال: هذا المال الذي أخذ منك مولاي هذا. فقال: يغفر ا لله لك، وا لله لا يرجع إلي من مالي شيء خرج منه أبداً، فليأخذه الرجل حلالا طيباً.....

وأضاف صاحب المحبر بعد ذلك، وأحاديثه أكثر من أن تستقصى.

ي ـ بعث رجل من أهل المدينة بابنة له إلى عبد ا لله بن جعفر وأرسل يقول له: إنا نريد أن نخدرها، وقد أحببت أن تمسح يدك على ناصيتها وتدعو لها بالبركة، فمسح ناصيتها ودعا لها بالبركة، وأعطاها لؤلؤة باعتها بثلاثين ألف درهم. (التهذيب ٧:٣٤٦)

ك ـ عبد ا لله يشتري للعاشق الجارية التي يحبها فيهبها له:

جاء في العقد الفريد ١:٢٠٤-٢٠٥:

ومن جود عبد ا لله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبي عمار دخل على نخاس يعرض قياناً له، فعلق واحدة منهن، فشهر بذكرها حتى مشى إليه عطاء وطاووس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه أن قال:

يلومني فيك أقوام أجالسهم ... فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره إلى عبد ا لله بن جعفر، فلم يكن له هم غيره، فحجّ فبعث إلى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم، وأمر قيمة جواريه أن تزينها وتحلّيها ففعلت، وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه، فقال: ما لي لا أرى ابن أبي عمار زارنا، فأخبر الشيخ فأتى مسلماً فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال: ما فعل حب فلانة؟ قال: في اللحم والدم والمخ والعصب. قال: أتعرفها لو رأيتها؟ قال: لو أدخلت الجنة فلن أنكرها. فأمر بها عبد ا لله بن جعفر أن تخرج إليه، وقال له: أنا اشتريتها لك، ووا لله ما دنوت منها، فشأنك بها مباركاً لك فيها، فلما ولى قال: يا غلام، احمل إليه مائة ألف درهم ينعم بها معها. قال: فبكى عبد الرحمن وقال:

ـ يا أهل البيت، لقد خصكم ا لله بشرف ما خص به أحداً من صلب آدم

فلتهنكم هذه النعمة وبورك لكم فيها.

وزاد ابن عساكر فقال:(التهذيب ٧:٣٤٢):

فقال له: تعرفها إن رأيتها؟ قال: جعلت فداك هي مصورة نصب عيني، عند كل خطرة وفكرة، ولو أدخلت الجنة ما كنت أنكرها. قال: وا لله ما نظرت إليها منذ ملكتها، يا جارية أخرجيها، فأخرجت ترفل في الحلي والحلل، فقال: هي هذه فأنشأ يقول:

هي التي هام قلبي من تذكرها والنفس مشغولة أيضاً بذكراها

فقال: شأنك بها فخذها، فبارك ا لله لك فيها. فقال: جعلت فداك. لقد تفضلت بشيء ما كان يتفضل به الا ا لله. فلما ولى قال: يا غلام، احمل معها مائة ألف درهم. كيلا يهتم بها، فبكى ابن عمار سروراً ثم قال: ا لله أعلم حيث يجعل رسالاته، جعلت فداءك، لئن كان ا لله وعدنا نعيم الاخرة لقد عجلت أنت نعيم الدنيا.

ل ـ عبد ا لله بن جعفر مع الحسن والحسين عند عجوز:

قال المدائني: خرج الحسن والحسين وعبد ا لله بن جعفر ـ رضوان ا لله عليهم ـ حجاجاً، ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها، فقالوا: هل من شراب؟ قالت: نعم، فأناخوا إليها وليس لها الا شويهة فقالت: احتلبوها وامتذقوا (امزجوا لبنها بالماء) لبنها، ففعلوا وقالول: هل من طعام؟ قالت: لا، الا هي فليذبحها أحدكم، حتى أصنعها لكم، فذبحها أحدهم، فشوت وأكلوا، وقالوا: (ناموا) عندنا حتي أبردوا، ثم قالوا: نحن نفر من قريش، نريد هذا الوجه، فإذا انصرفنا سالمين فألّمي بنا، فإنا صانعون بك خيراً، ثم رحلوا وأقبل زوجها، فقالت: سمعت؟ قال: لم أسمع، وخبرته الخبر، فأحال عليها ضرباً فشجها، ثم قال: تذبحين عنزي لأعبد لا تدرين من هم ثم يقولون: نفر من قريش. ثم ضرب الدهر ضرباته، واضطرتها الحاجة إلى أن دخلت هي وزوجها المدينة، فمرت العجوز يوماً تسوق حماراً تنقل عليه البعر تبيعه، إذ أبصرها الحسين بن علي (رضوان ا لله عليهما) فعرفها فأمر من أتاه بها، فقال: أتعرفيني؟ قالت: لا، فذكر لها العنز فقالت: بأبي وأمي، إنك لأنت هو؟ قال: نعم قال: أفما لقيت صاحبيك؟ قالت: لا

فأمر لها من شاء الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف دينار، وبعث بها مع رسول إلى الحسين، فسأل عما فعل الحسن فأعطاها مثل ذلك. ثم بعث بها إلى عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) فسأل عما أعطياها فأضعفه لها. وقال: لو بدأت بي لأتعبتهما، فانصرفت إلى زوجها بأربعة الاف دينار وأربعة الاف شاة. (لباب الالباب لابن منقذ ١٠٦-١٠٧)

م ـ مباراة في الكرم بين عبد الله بن جعفر والحسين بن علي وسعيد بن العاص في حادثة مماثلة عند أعرابي من (مزينة)

خرج حسين بن علي وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص إلى مكة في حج أو عمرة، فلما قفلوا اشتاقوا إلى المدينة، فركبوا صدور رواحلهم بأبدانهم وخلفوا أثقالهم، وكان ذلك في الشتاء، فلما بلغوا المنحنين بالحاء، ـ وورد المنجنين بالجيم ـ قرب الليل وأصابهم مطر واشتد عليهم البرد، فاحتاجوا إلى بيت وكن، فنظروا إلى نار تلوح لهم عن ناحية من الطريق، فأتوها، فإذا هي لإنسان من مزينة، فسألوه المبيت، فقال: نعم والقرى، فأنزلهم فأدخلهم خباءه، وحجر بيتهم وبين امرأته وصبيانه بكساء أو بشيء، ثم قام إلى شاة عنده فذبحها وسلخها ثم قربها إليهم وأضرم لهم ناراً عظيمة فباتوا عليها، فدخل على امرأته وهو يظن أنهم ناموا، فقالت له: ويلك ما صنعت بأصبيتك فجعتهم بشويهتهم، لم يكن لهم غيرها يصيبون من لبنها لقوم مروا بك كسحابة أفرغت ما فيها ثم استقلت (مضت) لا خير عندهم. قال: ويحك والله لقد رأيت أوجهاً صباحاً لا تسلمهم الا إلى خير، قال: فباتوا عنده حتى أصبحوا وأرادوا المضي فقالوا: يا أخا مزينة. هل عندك من صحيفة ودواة؟ قال: لا والله هذا الشيء ما اتخذته قط. قال: فكتبوا أسماءهم في خرقة محممة، ثم قالوا: احتفظ بها فأكنها المزني وآيس من خيرهم، فلبث بذلك ما شاء الله، ثم أنه نزل قوم من أهل المدينة قريباً منه، فذهب إليهم بالخرقة، فقال: أتعرفون هؤلاء بأبي أنتم؟ قالوا: ويلك من أين هؤلاء، فأخبرهم بقصتهم. فقالوا: انطلق معنا. قال: فانطلق المزني مع المدنيين، حتى قدم المدينة، فغدا إلى سعيد بن العاص ــ وهو كان أمير المدينة يومئذ ـ فلما نظر إليه رحب به، وقال: أنت المزني؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. قال: هل جئت واحداً من صاحبيّ؟ قال: لا قال: يا كعب، اذهب فاعطه ألف شاة ورعاتها. قال: فلما خرج به كعب قال له: إن الامير قد أمر لك بما قد سمعت، فإن شئت اشترينا لك، وإن شئت بأغلى القيمة. قال: بل الثمن

أحب إلي، فأعطاه الثمن، ثم صار إلى حسين فلما رآه رحب به ثم قال: أمزينياً؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي. قال: هل جئت واحداً من أصحابي؟ قال: نعم سعيداً، قال: فما صنع بك؟ قال: أعطاني ألف شاة ورعاتها. قال: يا فلان - لقيمه - اذهب فاعطه ألف شاة ورعاتها وزده عشرة الاف درهم. قال: إن شئت فعلى ما عوملت به، وإن شئت اشترينا لك؟ قال: فاختار الثمن. ثم ذهب إلى عبد الله بن جعفر فقال: مرحباً، أمزينياً؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. قال: هل جئت أحداً من أصحابي؟ قال: نعم، كلاهما. قال: فما صنعا؟ قال: أما سعيد فأعطاني ألف شاة ورعاتها، وأما حسين فأعطاني ألف شاة ورعاتها وعشرة الاف درهم، قال: يا بديح اذهب به فأعطه ألف شاة ورعاتها وسجل له بعيني (نبعي) فلانة بينبع، وهي عين عظيمة الخطر تغل مالا كثيراً. (ابن عساكر حرف العين : ٥١-٥٣)

ن - رسالة تحت وسادة لابن جعفر:

)جاء في ابن عساكر حرف العين ٤٧ - ٤٨):

كتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة فسجلها في ثني وسادة التي يتكيء عليها، فقلب عبد الله الوسادة فبصر بالرقعة فقرأها وردها في موضعها،وجعل مكانها كيساً فيه خمسة الاف دينار، فجاء الرجل فدخل عليه، فقال: اقلب المرفقة، فانظر ما تحتها، فأخذ الرجل الكيس وخرج وهو يقول:

زاد معروفك عندي عظماً ... أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الله مشهور كبير

س - ابن جعفر لا يأخذ على معروفه أجراً:

جاء في ابن عساكر حرف العين ٤٥:

أن دهقاناً كلم عبد الله بن جعفر أن يكلم علي بن أبي طالب في حاجة، فكلمه فقضاها فأهدى إليه الدهقان أربعين ألفاً، فردها إليه، وقال: أنا لا آخذ على المعروف ثمناً.... وروي أنه قال: إنا أهل البيت لا نبيع المعروف.

ع - ابن جعفر يذبح جملاً ويدفع ثمنه أربعمائة دينار:

(جاء في التهذيب ٧:٣٣٦)

اشترى بعض القرشيين جملاً بأربعمائة دينار فوصفه فأطال الصفة، فدفعه إلى الرائض فمر بابن جعفر فقال: إني لأشتهي من كبد هذا الجمل وسنامه، فادعوه إلي، فأبى، فقيل له: أبو جعفر يدعوك، وأمر خبازه إذا دخل الرجل أن ينحر الجمل، فلما دخل الرائض نحر الخباز الجمل فأكل عبد الله من كبده وسنامه، ومعه الرائض فقال الرائض: ما أكلت طعاماً قط أطيب من طعامك هذا قال: هو الجمل الذي كنت عليه، قال: إنا لله، قال: ما لك؟ قال: أخذ بأربعمائة دينار قال: أعطوه إياها. ويقال: إن الرجل القرشي كان عمرو بن العاص.

٥ ـ ومع ذلك فقد وجد ابن جعفر من هم أكرم منه:

أ ـ وأولهم عبد أسود:

خرج عبد الله بن جعفر يوماً إلى حيطان المدينة، فبينا هو كذلك، إذ نظر إلى أسود على بعض الحيطان، وهو يأكل وبين يديه كلب، فكلما أكل لقمة رمى إلى الكلب مثلها، فوقف ابن جعفر على دابته ينظر إليه، فلما فرغ الاسود دعاه، وقال له: يا غلام لمن أنت؟ قال: لورثة عثمان بن عفان. فسأله عن صنعه مع الكلب فقال: يا مولاي هو رفيقي منذ سنين، ولا بد أن أجعله أسوتي في الطعام فقال له: دون هذا يجزيك، فقال له: يا مولاي، والله إني لأستحيي من الله أن آكل، وعين تنظر إلي ولا تأكل. ثم مضى، فأتى ورثة عثمان واشترى منهم الحائط والاسود ووهب له الحائط (البستان) فلما وهب له الحائط قال: أشهدك يا مولاي أني أوقفته على ورثة عثمان، فتعجب منه وانصرف. (التهذيب ٧:٣٣٧)

ب ـ وثانيهم رجل من بني عذرة:

خرج عبد الله بن جعفر في بعض أسفاره فنزل إلى جانب خباء من شعر، وإذا صاحب الخباء رجل من بني عذرة، فبينا هو كذلك، إذ أقبل أعرابي يسوق ناقة فوقف عليه وقال: يا قوم ابغوني شفرة فوجأ بها لبة الناقة وقال لعبد الله ومن معه: شأنكم بها، ثم أقام اليوم الثاني، وإذا بالشيخ العذري يسوق ناقة ثانية فلما وقف على عبد الله نحرها، ثم جاءهم بناقة في اليوم الثالث، فلما أراد (ابن جعفر) الانصراف قال لخازنه: ما معك؟ قال: رزمة ثياب وأربعمائة دينار فقال له: اذهب واعطها للشيخ العذري فذهب بها فخرجت إليه جارية من الخباء، فقال لها الخازن: يا هذه خذي هدية ابن جعفر فقالت: إنا قوم لا نقبل على قرى أجراً. فجاء إلى ابن جعفر فأخبره، فقال: عد إليها فإن قبلت والا فارم بها على باب الخيمة، فعاودها

فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإنا قوم لا نقبل على قرانا أجراً، فوالله لئن جاء شيخي فرآك هنا لتلقين أذى. فرمى الرزمة والصرة على باب الخباء ثم ارتحل، فما سار قليلاً حتى أقبل شخص يرفعه السراب مرة، ويضعه أخرى، فلما دنا فإذا هو الشيخ العذري ومعه الصرة والرزمة فرمى بها، ثم ولى مدبراً فجعل عبد الله ينظر إليه هل يلتفت فلم يلتفت، فكان ابن جعفر يقول:

ما غلبنا بالسخاء الا الشيخ العذري (التهذيب ٧:٣٣٨)

جـ - وثالثهم يرى الدنانير أحجاراً

(وجاء في ابن عساكر حرف العين ٥٢-٥٣):

خرج عبد الله بن جعفر حاجاً، حتى إذا كان ببعض الطريق، تقدم ثقله على راحلة له، فانتهى إلى أعرابية جالسة على باب الخيمة، فنزل عن راحلته ينتظر أصحابه، فلما رأته قد نزل قامت إليه، فقالت: إليَّ، بواك الله مساكن الابرار. قال: فأعجب بمنطقها، فتحول إلى باب الخيمة، فألقت إليه وسادة من أدم، فجلس عليها، ثم قامت إلى عنيزة لها في كسر الخيمة، فما شعر حتى قدمت منها عضواً، فجعل ينهش، وأقبل أصحابه، فلما رأوه نزلوا، فأتتهم بما بقي عندها من العنز، فطعموا وأخرجوا سفرهم. فقال عبد الله: ما بنا إلى طعامكم حاجة سائر اليوم، فلما أراد أن يرتحل دعا مولاه الذي كان يلي نفقته، فقال: هل معك من نفقتنا شيء؟ قال: نعم. قال: فدفعه إليها فأبت أن تقبل. فلم يزل عبد الله يكلمها وهي تقول: إني والله أكره عذل بعلي فطلب إليها عبد الله حتى قبلت، فودعها وارتحل هو وأصحابه، فلما يلبث أن استقبله أعرابي يسوق إبلاً له، فقال عبد الله: ما أراه الا المحذور، فلو انطلق بعضكم فعلم لنا علمه، ثم لحقنا. فانطلق بعض أصحابه راجعاً متنكراً حتى نزل قريباً منه، فلما أبصرت المرأة الاعرابي مقبلاً قامت إليه تفداه وتقول:

توسمته لما رأيت مهابة	عليه فقلت: المرء من آل هاشم
والا فمن آل المرار فإنهم	ملوك ملوك من ملوك أعاظم
فقمت إلى عنز بقية أعنز	فأذبحها فعل امرىء غير نادم
يعوضني منها غناي ولم يكن	يساوي لحيم العنز خمس دراهم
بخمس مئين من دنانير عوضت	من العنز ماجادت به كف آدمي

فأظهرت له الدنانير وقصت عليه القصة. فقال: بئس لعمر ا لله معقل الاضياف كنت. أبعت معروفك بما أرى من الاحجار؟ قالت: إني وا لله قد كرهت ذلك وخفت العذل، قال: وهذه؟ لم تخافي العار وخفت العذل؟ كيف أخذ الركب؟ فأشارت له على الطريق، قال: وهذا بعين الرجل الذي أرسله عبد ا لله. فقال: أسرجي لي فرسي، قالت: وما تصنع بها؟ قال: ألحق القوم، فإن سلموا لي معروفي والا حاربتهم، قالت: أنشدك ا لله أن تفعل فتسوؤهم، فأقبل عليها ضرباً وقال: ركنت إلى إمحاق المعروف؟ قال: وركب فرسه وأخذ رمحه، فجعل الرجل صاحب عبد ا لله بن جعفر يسير معه ويقول له: ما أراك تدرك القوم.؟ فقال: وا لله لآتينهم ولو بلغوا كذا وكذا فلما رأى الرجل أنه غير منته قال: على رسلك، أدرك لك القوم وأخبرهم خبرك، فتقدم الرجل وأخبر ابن جعفر وقص عليه القصة فقال: قد كانت حذرة من المشؤوم. قال: فرهقهم (دنا منهم) فسلم عليه ابن جعفر وأخبره بحسن صنيع المرأة فقال: وا لله ما رأيت ذلك بتمامه، فلم يزل يكلمه ويسأله فأبى الاعرابي الا ردها، فلما رأى عبد ا لله ذلك قال: لننظر ما عنده، ما نحب أن يرجع إلينا شيء قد أمضيناه، قال: فقام من بين يديه فتنحى وصلى ركعتين ثم قام فركب فرسه وأخرج قوسه ونبله فقال له عبد ا لله: ما هاتان الركعتان قال: استخرت فيها ربي عز وجل في محاربتكم، قال: فعلام عزم لك من ذلك؟ قال: عزم لي عليه رشداً أو ترجعون أحجاركم وتسلمون لنا معروفنا. فقال له عبد ا لله بن جعفر تفعل، فأمر بالدنانير فقبضت، فولى الاعرابي منصرفاً فقال له عبد ا لله: الا نزودك طعاماً؟ قال: إني قريب فهل من حاجة؟ قال: نعم قال: وما هي؟ قال: المرأة تخبرها بسوء فعلك، فاستضحك الاعرابي وولى منصرفا. فقدم عبد ا لله بن جعفر بعد ذلك على يزيد بن معاوية فحدثه حديث الاعرابي. فقال يزيد: ما سمعت بأعجب من هذا.

د ـ ورابعهم يروي خبره شيخ من بني عمرو بن كلاب:

خرج عبد ا لله بن جعفر (رضي ا لله عنهما) يريد الشام، فألجأه المطر إلى أبيات، فإذا قبة حمراء، بفنائها رجل ينادي: الذّرى، الذرى (السكن والملجأ) قال عبد ا لله: فأنخنا فدخلنا القبة، وحط عن رواحلنا، ثم أتى بجزور فنحرها، فبتنا في شواء وثريد، وتحدث معنا من الليل هنيهة ثم انصرف، فلما أصبح وقف عند القبة وسألنا عن مبيتنا وانصرف، فأتي بجزور فعقرها، فقلنا: رحمك ا لله ما تريد إلى هذا؟ قال: كلوا رحمكم ا لله طرياً فإنا لا نطعم الضيف غاباً (بائتاً) قال عبد ا لله: رحمه ا لله فدعوت بثوب فجعلت فيه زعفراناً وصررت في طرف منه مائة دينار ثم

بعثت به إلى أهله، فقالوا: إنا لا نقدر على أخذه الا بإذنـه، فسألته أن يقبلـه فـأبى، فلما ارتحلنا وودعته أمرت فألقى الثوب بين البيـوت ومضينـا، فإنـا لنسـير إذ لحقنـا على فرس مشرعاً رمحه وقد احمرت عيناه، والثوب بين يديه فصاح بنا:

وإذا أخـذتُ ثـواب مـا أعطيتـه　　　فكفـى بـذاك لنـائلي تكديـرا

(لباب الالباب لابن منقذ ٨٥-٨٦)

هـ - ومع كرم عبد الله بن جعفر فقد كان يحاسب كيلا يغلب على عقله:

أ - جاء في عيون الاخبار ١:٢٥١

رئي عبد الله بن جعفر يماكس في درهم، فقيل له: أتماكس في درهـم، وأنـت تجود من المال بما تجود به، قال: ذاك مالي جدت به، وهذا عقلي بخلت به.

ب - وجاء فيها كذلك ص ٣٣٩:

أتى عبد الله ن جعفر قهرمانه بحسـابه، فكـان في أولـه: حبـل بخمسـين درهـم فقال عبد الله: لقد غلت الحبال. فقال القهرمان: إنه أبرق، فقال عبد الله: إن كان أبرق فأنا أجيزه.

الفصل الثامن

عبد الله بن جعفر والطرب

أ ـ عبد الله بن جعفر يعرف طيب العيش

جاء في ابن عساكر (حرف العين :٤٩):

قال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما العيش يا أبا جعفر قال: ركوب الهوى وترك الحياء.

وجاء (في العقد الفريد ٧:٢١٣) هذا الخبر في شيء من التفصيل:

قال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما أطيب العيش؟

قال: ليس هذا من مسائلك يا أمير المؤمنين.

قال: عزمت عليك لتفعلن.

قال: هتك الحيا واتباع الهوى.

وكرر العقد الفريد الخبر ٧:٧١:

ب ـ عبد الله بن جعفر يستمع إلى الغناء ويدعو إلى سماعه :

لم يكتف عبد الله بن جعفر بسماعه للغناء، بل كان يدعو الناس والخلفاء إلى الاستماع، وقد مرت بنا دعواته إلى الخلفاء.

مع معاوية:

١ ـ معاوية في فصل عبد الله بن جعفر ومعاوية جاء فيها: فجاء معاوية فسمع شيئاً حركه فقال: والله إني سمعت شيئاً تكاد الجبال تخر له، وما أظنه الا من تلقين الجن (الفقرة ١) فراجعها

٢ ـ معاويـة يسمع فيحرك رجله ويقـول: "كـل كريـم طـروب" (الفقـرة ٤ فراجعها)

٣ ـ معاوية يسمع الغناء حول خضابه (الفقرة ٥ فراجعها)

٤ ـ معاوية يزور عبد الله بن جعفر في بيته ويسمع الغناء (الفقرة ٦ فراجعها)

مع يزيد :

١ ـ نافع ـ مولى عبد الله بن جعفر ــ يغـني يزيـد (الفقـرة ٤ مـن عبـد الله بـن جعفر ويزيد)

٢ ـ يزيد يحتال لانتزاع جارية ابن جعفر (عمارة) (الفقرة ٥)

مع عبد الملك بن مروان :

عبد الملك بن مروان ينتزع جارية ابن جعفر المغنية انتزاعاً (الفقـرة ٢ مـن عبـد الله بن جعفر وعبد الملك)

جـ ـ ومن أخباره في الاستماع إلى الغناء :

عن الاصمعي قال: كان معاوية يعيب علـى عبـد الله بـن جعفـر سمـاع الغنـاء فأقبل معاوية عاماً من ذلك فنزل المدينة، فمر ليلة بدار عبـد الله بـن جعفـر فسـمع عنده غناء على أوتار، فوقف ساعة يستمع ثم مضـى وهـو يقـول: أسـتغفر الله ... أستغفر الله ...... فلما انصرف من آخر الليل مر بـداره أيضـاً فـإذا بعبـد الله بـن جعفر قائم يصلي، فوقف ليستمع قراءته فقال: الحمد لله، ثـم نهـض وهـو يقـول: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم﴾.

فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعدّ له طعاماً ودعاه إلى منزله وأحضر له ابن صيـاد المغـني ثم تقدم إليه يقول: إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعـام فحـرك أوتـارك وغـن، فلمـا وضع معاوية يده في الطعام حرك ابن الصياد أوتاره وغنى بشعر عدي بـن زيـد، وكـان معاوية يعجب به:

يـا لبينـى أوقـدي النـارا	إن مـن تهويـن قـد حـارا
رب نـار بـتّ أرمقهـا	تقضم الهنـديّ والغـارا
ولهـا ظـبي يؤججهـا	عـاقدٌ في الخصـر زنـارا

قال: فأعجب معاوية غناؤه، حتى قبض يده عن الطعام، وجعل يضرب برجله الارض طرباً فقال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، إنما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الالحان. فهل ترى فيه بأساً قال: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الالحان.

(العقد الفريد ٧: ١٥-١٦)

د ـ عبد الله بن جعفر يقتحم منزلاً يسمع فيه غناء :

جاء في ابن عساكر (حرف العين :٦٣):

مر عبد الله بن جعفر، ومعه عدة من أصحابه بمنزل رجل قد أعرس، وإذا مغنية تقول:

قـل للكـرام ببابنـا يلجـوا ... ما في التصابي على الفتى حرج

فقال عبد الله لأصحابه: لجوا، فقد أذن لنا القوم، فنزل ونزلوا فدخلوا فلما رآه صاحب المنزل تلقاه وأجلسه على الفرش، فقال للرجل: كم أنفقت على وليمتك؟ قال: مائتي دينار. قال: فكم مهر ابنتك؟ قال: كذا، وكذا، فأمر له بمائتي دينار ومهر امرأته وبمائة دينار بعد ذلك معونة، واعتذر إليه وانصرف.

ويزيد صاحب العقد الفريد ٧:١٧-١٨ الخبر طرافة فيقول بعد أن سمع ابن جعفر الجارية فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا إذن، فلما رأوه قاموا إليه إجلالا ورفعوا مجلسه، ثم أقبل عليه صاحب البيت فقال: يابن عم رسول الله (ص) دخلت منزلنا بلا إذن وما كنت أظنك لهذا بخليق، فقال: لم أدخل الا بإذن، قال: ومن أذن لك؟ قال: مغنيتك هذه سمعتها تقول :

قل للكرام ببابنا يلجوا

فولجنا، فإن كنا كراما فقد إذن لنا، وإن كنا لئاماً خرجنا مذمومين، فضحك صاحب المنزل وقال: جعلت فداك، وما أنت الا من أكرم الاكرمين، ثم بعث عبد الله بن جعفر إلى جارية من جواريه فقال لها: غني، فغنت فطرب القوم، وطرب عبد الله ودعا بثياب وطيب، فكسا القوم وصاحب المنزل وطيبهم ووهب له الجارية وقال له: هذه أحذق في الغناء من جاريتك.

هـ ـ عبد الله بن جعفر يضرب بالعود :

جاء في العقد الفريد ٧:١٤١-١٤٣

.......عن عبد الله بن ادريس، صاحب الحديث - .... وابن ادريس يومئذ ابن ثمانين سنة قال: قلت (لعليان بن _أبي مالك) فما تقـول في الغناء؟ قـال: قـد غنى البراء بن عازب، وعبد الله بن رواحة، وسمع الغناء وكان عبـد الله بـن جعفـر .... قلت: ايش كان عبد الله بن جعفر؟ قـال: إنما سـألتني عـن الغنـاء و لم تسـألني عـن ضرب العيدان.....

و - ويربي مغنياً في بيته :

وورد في العقد الفريد أيضاً ٧:٢٦

.......ثم كان ابن أبي السمح الطائي، وكان يتيماً في حجر عبد الله بن جعفر، وأخذ الغناء عن معبد، وكان لا يضرب بعود، وإنما يغـني مرتجلاً، فـإذا غنـى لمعبـد صوتاً حققه ويقول: قال الشاعر فلان، ومططه معبد، وخففته أنا .

ز - ذكر عبد الله بن جعفر في مجلس الخليفة المهدي:

قال يعقوب بن داوود للمهدي: إنه ليس على هذا اسـتوزرتني، ولا عـلى هـذا صحبتك، أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجـامع يشرب عنـدك النبيـذ وتسـمع الغنـاء، قـال: فكـان يقـول: قـد سمع عبـد الله بـن جعفـر قلـت: ليس هـذا مـن حسناته..... (الطبري ٨:١٦٠).

ولعـل مـن أطـرف مجـالس عبـد الله بـن جعفـر في الطـرب مـا رواه الاغـاني ٨:٢٢٧-٢٢٩: قال :

حدثتني عمتي قالت: سمعت سياطاً يحـدث أبـاك يومـاً بأحـاديث جميلـة فقـال: بنفسي هي وأمي فما كان أحسن وجهها وخلقها وغناءها! ما خلّفت النساء مثلهـا شبيهاً، فأعجبني ذلك، ثم قال سياط: جلست جميلة يومـاً لوفـادة عليهـا، وجعلـت علـى رؤوس جواريهـا شـعوراً مسـدلة كالعنـاقيد إلى أعجـازهن، وألبسـتهن أنـواع الثياب المصبّغة ووضعت فوق الشعور التيجان، وزينتهن بأنواع الحلي، ووجهت إلى عبد الله بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أملت عليه: بأبي أنت وأمي! قدرك يجل عن رسـالتي وكرمـك يحتمـل زلـتي، وذنـبي لا تقـال عثرتـه ولا تغفـر حوبتـه. فـإن صفحت فالصفح لكم معشر أهل البيت يُؤثر، والخير والفضـل كلـه فيكـم مدخـر، ونحن العبيد وأنتـم المـوالي، فطوبـى لمـن كـان لكـم مقاربـاً وإلى وجوهكـم نـاظراً! وطوبى لمن كان لكم مجاوراً، وبعزكم قاهراً، وبضيائكم مبصراً! والويـل لمـن جهـل

قدركم و لم يعرف ما أوجبه ا لله على هذا الخلق لكم! فصغيركم كبير بل لا صغير فيكم، وكبيركم جليل بل الجلالة التي وهبها ا لله عز وجل للخلق هي مقصورة عليكم، وبالكتاب نسألك وبحق الرسول ندعوك إن كنت نشيطاً لمجلس هيأته لك لا يحسن الا بك ولا يتم الا معك، ولا يصلح أن ينقل عن موضعه، ولا يسلك به غير طريقه. فلما قرأ عبد ا لله الكتاب قال: إنا لنعرف تعظيمها لنا وإكرامها لصغيرنا وكبيرنا. وقد علمت أنها قد آلت ألية الا تغني أحداً في منزلها. وقال للرسول: وا لله قد كنت على الركوب إلى موضع كذا وكان في عزمي المرور بها. فأما إذ وافق ذلك مرادها فإني جاعل بعد رجوعي طريقي عليها. فلما صار إلى بابها أدخل بعض من كان معه إليها وصرف بعضهم. فنظر إلى ذلك الحسن البارع والهيئة الباذة، فأعجبه ووقع في نفسه، فقال: يا جميلة! لقد أوتيت خيراً كثيراً، ما أحسن ما صنعت! ... فقالت:يا سيدي، إن الجميل للجميل يصلح، ولك هيأت هذا المجلس. فجلس عبد ا لله بن جعفر وقا مت على رأسه وقامت الجواري صفين، فأقسم عليها فجلست غير بعيد. ثم قالت: يا سيدي، الا أغنيك؟ قال: بلى! فغنت:

بني شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضيئ ظلام الليل كالقمر البدر
كهولهم خير الكهول ونسلهم ... كنسل الملوك لا يبور ولا يحري
أبو عتبة الملقي إليك جماله ... أغر هجان اللون من نفر زهر
لساقي الحجيج ثم للخير هاشم ... وعبد مناف ذلك السيد الغمر
أبوكم قصي كان يدعى مجمّعا ... به جمّع ا لله القبائل من فِهر

فقال عبد ا لله: أحسنت يا جميلة وأحسن حُذافة ما قال! با لله أعيديه علي فأعادته، فجاء الصوت أحسن من الارتجال. ثم دعت لكل جارية بعودٍ وأمرتهن بالجلوس على كراسٍ صغار قد أعدتها لهن، فضربن وغنت عليهن هذا الصوت وغنى جواريها على غنائها. فلما ضربن جميعاً قال عبد ا لله: ما ظننت أن مثل هذا يكون! وإنه لمما يفتن القلب! ولذلك كرهه كثير من الناس لما علموا فيه. ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف إلى منزله. وقد كانت جميلة أعدت طعاماً كثيراً، وكان أراد لمقام، فقال لأصحابه: تخلفوا للغداء، فتغدوا وانصرفوا مسرورين.

الخاتمة

وتنتهي حياة عبد الله بن جعفر ذي الجناحين الحافلة ببيتين كتبا على قبره:

أجمع أهل الحجاز وأهل البصرة وأهل الكوفة أنهم لم يسمعوا ببيتين أحسن من بيتين رأوهما على قبر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

مقيـــم إلى أن يبعـــث الله خلقـــه لقـــاؤك لا يرجـــى وأنـــت قريـــبُ

تزيـــد بلـــى في كـــل يـــوم وليلـــة وتنســـى كمـــا تبلـــى وأنـــت حبيـــب

(ابن عساكر حرف العين ٦٩/ أسد الغابة ٣:١٣٥)

معالم في سيرة عبد الله بن جعفر

١ ـ أبوه جعفر ذو الجناحين بطل من أبطال الاسلام الاوائل

٢ ـ زوجته زينب بنت الامام علي بن أبي طالب من أرقى نساء الاسلام. ولا سيما في نصرتها للحسين، وفي موقفها الجريء من يزيد.

٣ ـ أحبه رسول الله (ص) وعطف عليه، وروى ابن جعفر عنه أحاديث .

٤ ـ ابن جعفر يشيع أبا ذر حين نفاه عثمان إلى الربذة مع المشيعين.

٥ ـ علي يريد ابن جعفر في تزويجه ويستبعد ولديه الحسن والحسين.

٦ ـ عبد الله بن جعفر من أمراء جيش علي يوم صفين.

٧ ـ عبد الله بن جعفر يضرب عنق عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي.

٨ ـ عبد الله بن جعفر ينصح الحسين بعدم السفر إلى العراق.

٩ ـ عبد الله بن جعفر يثكل ولديه محمداً وعوناً في معركة كربلاء مع الحسين.

١٠ ـ عبد الله بن جعفر يأخذ بالتقية بعد قتل علي وتخلي الحسن ومصرع الحسين، ويتحول تحولاً مأساوياً.

١١ ـ عبد الله بن جعفر يحتفظ بكرامته ويتحدى من ينال منه أو من أهله.

١٢ ـ عبد الله بن جعفر مع خلفاء بني أمية معاوية ويزيد وعبد الملك.

١٣ ـ الخلفاء يغدقون الاموال على عبد الله بن جعفر وعلى سكان الحجاز تهدئة لهم.

١٤ ـ معاوية يعتبر بيت مال المسلمين بيت مال له.

١٥ ـ عبد الله بن جعفر يزوج ابنته الحجاج بن يوسف اتقاء لشره .

مصادر عبد الله بن جعفر

١ـ تاريخ ابن عساكر (تراجم حرف العين ١٧ـ٦٩)

٢ـ تهذيب ابن عساكر ٧:٣٢٨ـ٣٤٧

٣ـ نسب قريش ٨١ ـ ٨٢

٤ـ طبقات خليفة ١:١٢

٥ـ الجرح والتعديل ٢: ق ٢/٢١

٦ـ جمهرة الانساب ٦٨

٧ـ الاستيعاب ٣: ٨٨٠ ـ ٨٨٢

٨ـ الجمع بين رجال الصحيحين ٢٣٩

٩ـ أسد الغابة ٣:١٣٣ـ١٣٥

١٠ـ سير أعلام النبلاء ٣:٣٠١ـ٣٠٥

١١ـ تاريخ الاسلام ٢:١٦٣ـ١٦٦

١٢ـ الاصابة ٢٨٩ـ٢٩٠

١٣ـ التهذيب ٥:١٧٠ـ١٧١

١٤ـ مروج الذهب ١٦٠/٣:٧٠ /٤١٤/٣٦٨/٣٦١/٢:٣٤١

١٥ـ تاريخ الطبري ٦٥٢/٣٣١/٢:٣١٣، /٤٢٦/١٥٧/٤١/٣٩/٣:٣٦،
١٦٠/٨:١١٠ /٧:٥٧١ /٥:٤٢٤

١٦ ـ الغدير ٨:٣٣٧ /٢٠٠/١:١٩٩

١٧ ـ فوات الوفيات ١:٢٠٩

١٨ ـ الذيل ٢٣

١٩ ـ المحبر ١٤٨

٢٠ ـ العقد الفريد ١: ١٥٣/٢٠٢/٢٠٤/٢٠٥/٢٢٢...،و٢: ٤٦...
و ٤: ٥٩... و٥: ٩٣.../ و ٦: ١٢٤/و٧: ١٠..

٢١ ـ أعيان الشيعة ٤: ١١٨ ـ ١٢٨ /٧: ١٣٦../
٨: ١١٤ ـ ١٢٦/

٢٢ ـ الاعلام ٤:٢٠٤

فهرس القوافي

الأعلام

الفهرس

المؤلف في سطور

* عبدالمعين الملوحي.
* ولد في حمص عام ١٩١٧.
* عمل في وزارة التربية ووزارة الثقافة ثم مستشاراً في القصر الجمهوري.
* سافر الى الصين ونال لقب أستاذ شرف في جامعة بكينبعد احالته للتقاعد عام ١٩٧٦.
* تلقى من رئيس جمهورية الفيتنام الاشتراكية رسالة شكر.
* أصدر حتى الآن ٧٨ مجلداً في التراث والشعر والدراسة والترجمة والأدب الذاتي.
* له عدد كبير من المخطوطات تنتظر النشر.
* عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق.